روايات عبير

آن هامبسون

الشمس والظلال

٩٣

الشمس و الظلال

لتحميل مزيد من الروايات الحصرية و المميزة

زوروا موقع مكتبة رواية

www.riwaya.net

الشمس و الظلال

العدد رقم 93

روايات عبير القديمة

العنوان الأصلي

Dear Stranger

الملخص

المتجهون نحو اقدارهم يقفزون كالخيل فوق حواجز خشبية او نارية ، و كثيرا ما يسقطون قبل اللقاء الرائع.... لكن في هذه القصة تلعب حبكة القدر لعبتها العجيبة ولا يبقى امام كارلوس وساره سوى حاجز واحد ولو انه معنوي. فهل تزوج كولن من انولا بلا حب كي يفسح لهما المجال وزواجهما كان مستحيلا من دون ان توافق انولا على فسخ خطبتها من كارلوس؟ وكاتب الاسفار جبلبير برود هورست

كيف يكمل حياته المهنية بعدما تزوجت سكرتيرته التي باتت اقرب اليه من اي انسان؟

1- الأخ ليس أخًا

كان معظم سكان مدينة براكهورست مجتمعين في القصر الذي اضيئت كل جوانبه للاحتفال بذكرى الزواج الذهبي لجدي كولن . النوافذ مشرعة في تلك الليلة من ليالي نيسان(ابريل) ، الحارة بصورة غير اعتيادية . اريج الزهور ينبعث من الحديقة الواقعة على امتداد الممر الطويل .

كولن وسارة تركا الراقصين وجلسا على الشرفة . جاء خادم حاملا صينية المشروبات المنعشة وقدم لهما المشروب .

هز كولن رأسه وقال :

" خمسون سنة زواج . هل تعتقدين انهما كانا سعيدين كل هذه المدة ؟ "

بريق فرح ارتسم في عيني سارة الرمادتين واجابت :

" أي جواب تنتظر مني ؟ انت تعرف جيدًا اني لست بفتاة عاطفية "

نظر اليها عميقًا ومطولا ثم قال:

" تهمك مهنتك قبل أي شيء اخر ، اليس كذلك ؟ انت من النوع المثالي للمرأة المستقلة ، الواثقة من نفسها . . لكنك ستدركين يومًا بانه سينتهي بنا المطاف الى الزواج " .

راحت تداعب اسفل كأسها بشرود وتقول :

" هل تعتقد ذلك "

" سنكتشف يومآ باننا نشبه بقية الناس "

" وننجذب الى الزواج والاولاد ومباهج الحياة " .

ادارت وجهها ضاحكة . . فكشفت الاضواء الاتية من الغرفة عن بشرتهاوملامح وجههاالمرسومة بأتقان . وشعرها القصير الاشقر المعقود فوق جبينهاالعريض المالس .

" سأعلمك بالامر عندما اشعر باكتمال هذا التحول "

" سأكون في رأس اللائحة اليس كذلك ؟ "

" ليست هناك لائحة "

اصبحت نظرة الفتاة حالمة . امام عينيها برزت صورة شاب عملاق اسمر ومتين ، وجهه يوناني جميل وعيناه خضراوتان ساحرتان .

كيف اصبح الان ؟ لا شك انه تجاوز الثلاثين من عمره . اذا التقيا فسيكونان غريبان . .

فقد اختفى منذ تسع سنوات دون ان يترك اثرًا . .

كانت سارة في السادسة عشرة من عمرها وكارلوس في الحادية والعشرين . منذ طفولته كان صبيًا باردًا ومتهكمًا ووقحًا . انها تتذكر من جديد عينيه القاسيتين ، وصوته الهادىء والحاد . .

قاطع كولن احلامها وسألها :

" بماذا تفكرين "

رفعت عينيها نحوه فقال :

" لاتقولي شيء ، اعتقد اني حزرت . تفكرين بعملك ، فلا شيء غيره في ذهنك "

ظهرت ابتسامة على شفتي سارة وقالت :

" في الحقيقة كنت تائهة في الماضي "

رمقها بنظرة تساؤلية وقال :

" هل كنت تفكرين بوالديك "

هزت رأسها بشرود فلم يلاحظ رفيقها هذه الحركة .

فاضاف :

" لا تتكلمين ابدًا عن نفسك او بالكاد . كل ما اعرفه هو ان عائلة يونانية قبرصية قد تبنتك . وقتل والداك بالتبني في حادث طائرة عندما كنت في الثامنة عشرة من عمرك . كما قلت لي ايضًا انه كان لهذه العائلة ابنًا لم يظهر من مدة طويلة . هذا كل ما اعرفه عنك "

حملت سارة كأسها لكنها لم تشرب منه شيئًا . فهي وكولن اصدقاء منذ ست سنوات . اي منذ الفترة التي بدات فيها العمل عند عمه الكاتب الشهير جيلبير هولغروف الذي يؤلف كتب الاسفار المشهورة في العالم كله . كانت سارة تحب عملها لانه يتيح لها السفر .

تنزل بالفنادق الفخمة وتلتقي بالاشخاص المثقفين والممتعين .

واينما ذهبت يكون لها اصدقاء جدد ، سعيدة وراضية على قدرها ، تشكر السماء لان جيلبير اختارها من بين خمس عشرة فتاة لتكون سكرتيرته الخاصة .

السنة الفائتة ذهبا الى تركيا ، والسنة التي قبلها امضياها في مصر ، وبعد اسبوع سيذهبان الى قبرص .

وهناك سيسكنان في فيلا واسعة في قرية في الجبل تدعى لابيتوس .

انه مكان اخضر حيث الشلال ينبثق من الصخور الكلسية ويروي الارض القاحلة .

وسارة تنتظر هذه الرحلة بفارغ الصبر ، خاصة لانها تزور الفنادق في اقامتها هناك .

وحسب الصور العديدة الملونة ، وادركت سارة ان الفيللا التي ستسكنها مع الكاتب هي من افخر ما بني في ارجاء منطقة كيرينيا .

تقع الفيلا على سفح جبل مرتفع . بيضاء ودارها مبني على عواميد وقبب . الشرفات تحيط بها وكذلك حديقة رائعة تنمو فيها اشجار النخيل وعدد لا يستهان به من الاشجار الوارفة الغريبة . الغرف الاساسية تطل من الجهة الشمالية على منظر رائع للقرية . واشجار الحمضيات المختلفة الانواع تمتد حتى الساحل الرملي وما بعد البحر المتوسط ، حتى جبال

تركيا . وهذه الفيلا تخص صديق جيلبير الامريكي الثري . اعاره اياها لانه سيقوم بزيارة طويلة الى كاليفورنيا .

قاطع كولن حبل افكار سارة وتنهد من دون صبر . انه دائما معها عندما تكون في انكلترا خلال زيارة قصيرة . وتتكل عليه ليرافقها الى الزيارات والسهرات . ومنذ وقت قصير بدأت سارة تشعر بضرورة التحدث اليه عن مشاعرها وحياتها الخاصة .

بدأت تقول والكأس تدور بين اصابعها بشرود :

" ترى الامر غريبا ان تكون العائلة التي تبنتني من الجنسية القبرصية اليونانية . . . "

" طبعًا وكم رغبت في ان اطرح عليك بعض الاسئلة حول حياتك الخاصة ، لكنك كنت تفهميني بطريقة غير مباشرة . انك مصرة على عدم الكلام في الموضوع "

نعم ، كولن على حق . لقد حافظت على صمتها لانها كانت ترغب في نسيان مرحلة غير فرحة في حياتها ، لكنها اليوم قررت بدء الكلام . فاخبرت كولن ان والدتها ماتت بعد ان جاءت بها الى الحياة . وبعد وقت عرف والدها انه مصاب بداء لا دواء له . ومن شدة قلقه ، الح على اصدقائه القبارصة ، بانوس وستللا انجلوس ، ان يتبنيا ابنته .

كان بانوس عراب سارة ، وبالنسبة الى المواطن القبرصي ، يعني تحمل مسؤولية كبيرة . فعليه ان يربي الولد الذي يرعاه اذا تيتم . وبما ان بانوس وزوجته كانا قد حصلا على الجنسية البريطانية ، تم التبني بسهولة . ولم تعش مع والدها بعد التبني اكثر من شهر واحد ، أي الى حين وفاته من جراء مرضه المزمن .

قطب كولن حاجبيه وقال :

" يا لهذه المأساة ، اذا انت لا تتذكرين والديك الحقيقين "

اشارت سارة له بحركة سلبية . سكت برهة ثم فوجىء بتعبير غريب يرتسم على وجه الفتاة . فسألها بفضول:

" هل كنت سعيدة مع العائلة الجديدة "

احمرت قليلا وفكرت بانه ربما اخطأت في التحدث عن اسرار حياتها الماضية . كيف باستطاعتها التحدث عن والدي كارلوس من دون ان تنتقدهما غير انه كان من الصعب ان تتراجع وتعدل عن مواصلة الحديث ، اكملت تقول :

" والدي بالتبني كان لديهما ولد . . في الخامسة من عمره "

قاطعت نفسها ومر على وجهها بريق ندم وحسرة ، ثم تابعت تقول :

" لو كان كارلوس اصغر سنًا او اكبر مما كان عليه ، لربما كان الوضع مختلف "

وضعت سارة الكأس الذي لم تشرب منه ، على الطاولة واضافت :

" لم يكن والداه قد صمما على انجابه . . . "

قاطعها كولن قائلا :

" كيف تمكنت من معرفة ذلك ؟ "

" انه مجرد حدس واستنتاج . فهمت الامر بعدما كبرت ، عندما كنت ابحث في داخلي لماذا كارلوس وانا لم نحب بعضنا "

" هل هذا هو السبب لعدم حدوث مقابلات بينكما الان ؟ "

هزت رأسها وتابعت :

" تزوج بانوس من ستيلا عندما كانا بسن الثامنة عشرة ، وبت متأكدة انهما ندماعلى الانجاب ولم يمر سنة على زواجهما . ولما اصبح كارلوس في سن التفهم ، ادرك بصورة غريزية ان والداه لم يرغبا به . نما وكبر بعيد عن حنانهما . منذ ولادته كانت تهتم به مربية خاصة جاءت خصيصًا له .

حينئذ قررا التعويض عن خطأهما ، لكن قد فات الاوان ، ذلك ان كارلوس اصبح منغلقًا على نفسه . لا مجال لاصلاحه "

توقفت قليلا لتبحث عن كلماتها فتابعت :

" اعتقد انهما فرحا لتبنيهما ولدًا اخر "

صرخ كولن مندهشًا :

" تريدين القول انهما تبنياك بتحد "

" ليس تمامًا . هذا واجبهما في كل حال . لكني اعتقد انهما كانا حزينين لعدم تمكنهما من استمالة عطف وحنان ابنهما فحولا عاطفتهما نحوي ولبيا كل نزواتي . كنت احصل على كل ما ارغبه . حصان ، دروس رقص ، مجوهرات . . كانا يدفقان علي الهدايا . وهذا شيء غريب واحمق "

" و . . . كارلوس ؟ "

اطلقت زفرة عميقة وقالت :

" كانا يلهوان بمساعدتي وتفضيلي ليلحقان به الاذى والضرر . كنت املك الالعاب الفاخرة بينما هو يتلقى

الالعاب العادية القليلة ، وبطبيعة الحال ، بدأ الصبي يكرهني "

" قلت لي انه ادرك ان والديه لم يرغبا بانجابه قبل مجيئك اليهم "

" صحيح . لكن لما كبر بالسن ، راح يفكر بما جرى واعتبر ان مجيئي الى العيش معهم بداية عذاباته ومأساته "

" افهم الان ما كنت تقصدين منذ قليل . لو كان كارلوس في سن اكبر مما كان عليه عندما دخلت المنزل ، لتذكر ان والداه رفضاه قبل مجيئك ، ولو كان اصغر سنًا لما تذكر انضمامك الى العائلة "

هزت رأسها وموسيقى الفالس تحيط بهم اتية من صالة الاحتفالات . اصغيا لحظة الى الموسيقى ثم تابعت سارة الكلام وقالت :

" دخل كارلوس مدرسة داخلية في الثانية عشرة من عمره . شيئًا فشيئًا بدأت اعي الوضع . وكنت مستاءة كليًا . وفي احد الايام ، في عيد الميلاد بالذات ، كنت يومها في العاشرة وكارلوس في الخامسة عشرة ، تلقيت هدايا باهظة ومختلفة بينما لم يتلقى كارلوس سوى دفتر وقلم . لا شك ان الوضع كان مقيتًا ، فلم يتوقف لحظة عن النظر الى الهدايا التي تلقيتها . ولماعاد الى المدرسة بعد نهاية العطلة ، ترك دفتره وقلمه في المنزل. "

قال كولن باشمئزاز :

" انهما حقًا شخصان غريبان لا يملكان بصيص عاطفة كيف يمكنهما معاملة ابنهما هكذا ؟ " .

هزت سارة رأسها بارهاق :

" في هذا الميلاد بالضبط ، ادركت حقيقة الوضع ، وحاولت بعدها التقرب من كارلوس اكثر من قبل . اردت ان اكون صديقته . انت تعرف كيف تتصرف الاخت الصغيرة مع اخيها الكبير . . . او ربما لا تعرف ! "

ضحكت سارة لكن كولن اجابهابلطف :

" اعتقد ان باستطاعتي ان اتصور الوضع "

" حسنًا اذن ، حاولت التقرب منه لكن فات الاوان فكان منغلقا وراء درع كتوم . . تعيسًا الى درجة كبيرة . . "

انقطع صوتها ولمعت عيناها انفعالا ثم تابعت تقول :

" فعلت كل ما بوسعي . . . لكنه كان يبقى في المدرسة الداخلية طيلة الفصل الدراسي ، وخلال العطل المدرسية ولم يكن الوقت يسمح لي ان اوفق في محاولتي لاستمالته . ولما اصبح في الثامنة عشرة من عمره ، ترك المنزل ولم اره الا نادرًا ، لانه لم يكن يزور والديه الا نادرًا جدًا . كنت ازوره في شقته ، لكن استقباله لي لم يكن مقبولاً او مضيافًا "

" هل طردك ؟ "

" كلا . لم نكن نتشاجر ابدأ . مرارته كانت تخلق حاجزًا بيننا لم نتمكن من اختراقه "

انحنت لتأخذ كاسها وشربت بشراهة كأنها بحاجة الى استعادة قواها قبل ان تتابع الحديث :

" في سن الحادية والعشرين ، تعرف الى فتاة انكليزية وتزوجا بعد اسابيع قليلة . . . "

انطفأ صوتها الناعم فمحاولتها اليائسة لتعوض الظلم الذي كان كارلوس ضحيته ادت الى ازدياد حبها وعاطفتها نحوه . حينذاك كانت تتصور ان ما تشعر به في داخلها لم يكن سوى مجرد عاطفة اخوية ، لكن هذا الشعور ازداد تدريجيا واصبح قويًا وعنيفًا ولم تفهم الحقيقة الا يوم عرفها كارلوس الى اليسون .

قال كولن حالما :

" لماذا تزوج بهذه السرعة "

" لانه شعر لاول مرة ان شخصًا ما يظهر له عاطفة صادقة . فانصب على الحب بنهم "

" كيف كانت اليسون "

رفعت كتفيها واجابت مبتسمة :

" من نوع الدمى السريع العطب "

" هل كانا سعيدين ؟ "

" لا اعرف ، لكن امل ذلك من كل قلبي . لم اره منذ زواجه ولم يكتب الي احد من عائلته "

" الا تعرفين اين يسكن ؟ "

هزت سارة رأسها وقالت :

" عندما مات والداه ، المحامي المكلف وجد له اثرًا في اليونان ، لكنه لم يحضر الدفن . . . اما بالنسبة الى الوصية . . . "

وفقدت سارة برودة دمها الاعتيادي وبلعت ريقها بعصبية وقالت :

" رفض ان يقبل مني المال ، ولم يعترض على محتوى الوصية "

فتح كولن عينيه اندهاشا وقال :

" تقصدين انهما . . . لم يورثاك كل شيء "

" بلى ، ورثت كل ثروتهما وكان مبلغًا كبيرًا . لكني فقدت حينذاك كل امل . كتبت الى كارلوس مرارًا لكنه لم يرد علي ابدًا . ومرة اعيدت رسالتي ، بعدما كان كارلوس قد غير عنوانه "

رمقها كولن بنظرة ثاقبة وقال :

" يبدو انك حزينة لانك فقدت كل اتصال به . هل مازلت تكنين له المحبة ؟ "

اجابت بهدوء :

" لقد نشأنا وترعرعنا معا "

تنهد كولن وقال :

" في كل حال ، لا يبدو انه احبك ومن الافضل لك ان تنسي هذه المرحلة الكئيبة من حياتك "

تردد قبل ان يضيف قائلا :

" والمال ؟ "

" اودعته في احد المصارف وارفض كليا ان امد يدي الى هذه الثروة "

وبهذا الرد الذي لم يفاجيء كولن وضعا نهاية لهذا الحديث . وصل مدير سارة ترافقه ابنته اودري وصديقتها دافنيه . نهض كولن ، وجاء خادم يقدم للجميع المشروبات المنعشة على صينية من الفضة .

صرخت دافنيه بالحاح وهي تنظر الى كولن :

" انها حفلة رائعة "

لكن كولن نظر الى سارة نظرة فكاهية سرية ثم راح يتكلم الى عمه ويقول :

" انت تفكر بالكتاب الجديد الذي ستحققه عن قبرص ، اليس كذلك ؟ "

" بعد اسبوع من الان سنبدأ انا وسارة العمل الجدي "

ابتسم جيلبير وهو ينظر الى سكرتيرته فردت له بالمثل . منذ البداية وهما متفقان . جيلبير رجل طويل القامة ، اشيب ، ذو وجه نحيف ، يتمتع بصبر لا حدود له . مرح ومزاجه طيب دائما . مضى حتى الان ست سنوات على سارة وهي تعمل له . ولم يتفوه ابدا بكلمة تسيء اليها .

تدخلت ابنته اودري في الحديث وقالت :

" كم احسدك يا سارة . دائما مسافرة وبرفقة الرجل الذي احبه واعجب به ! "

رفع والدها حاجباه وقال :

" الى اليوم الذي التقيت فيه زوجك الماهر! "

قال كولن ضاحكًا :

" تخليت عن الحياة الحلوة لتتزوجي "

نظر باتجاه سارة ، فردت عليه ضحكته بالمثل . لو لم تتزوج اودري التي كانت سكرتيرة والدها ، لما تمكنت سارة من الحصول على هذه الوظيفة التي يحسدها الجميع عليها .

سألت دافنيه الكاتب وهي تبتسم لكولن :

" اخبرنا عن هذه الفيلا الرائعة التي ستسكنها خلال اقامتك في قبرص "

" بالحقيقة ، لم ارها بعد . كل ما اعرفه انها مريحة وهادئة "

سألت اودري بعد تردد واضح :

" هل بامكاننا جميعا ان نمضي بعض الايام معكما ؟ "

وسرعان ما ندمت على السؤال فهي تعرف الى أي مدى يستاء والدها من الانزعاج عندما يكون منغمسا في الكتابة . اجابها باختصار :

" ربما "

وهذا الاختصار دليل واضح على انه من الضروري على ابنته ان تلغي هذه الخطة من رأسها ! ظل الحديث يتتابع بلا رابط الى ان دخل الجميع ، بعد ربع ساعة ، الى الصالة الكبرى .

حلقت الطائرة بشكل دائرة فوق مطار نيقوسيا قبل ان تحط على المدرج بهدوء .

الصديق الامريكي الذي اعار جيلبير منزله ترك له سيارته في مرآب المطار ، كي يستعملها خلال اقامته في الفيللا . المرور في الجمرك لم يأخذ وقتًا طويلا . وبعد قليل كانا يجتازان مدينة نيقوسيا الجميلة وجدرانها القديمة وشوارعها ذات الخطوط الثلاثة . وبدت ذات تناقضات عنيفة لان الغرب دخل بقوة الى هذه المدينة

الشرقية القديمة . المنازل الجميلة البيضاء وقبب الجوامع ، تبرز بوضوح تحت السماء الزرقاء .

السيارات الاميريكية الضخمة تجتاز عربة يقودها فلاح وحصانه . الفتيات الجميلات يمشين بتألق قرب النساء العجائز اللواتي يرتدين الفساتين السوداء .

اخذ جيلبير مخرج كيرينيا ليغادر العاصمة القبرصية . وكان عليهما ان يظهرا جواز سفرهما الى ضابط قبرصي رسمي سألهما بعد ان رد لهما الجوازين :

" هل جئتما الى قبرص لتمضية العطلة ؟ "

" سنبقى سنة هنا تقريبًا "

" هل تعملان هنا ؟ "

اجاب جيلبير بمحبة ولطف :

" سنكتب كتابا عن جزيرتكم الحلوة "

" اهلا وسهلا بكما الى قبرص . نحن مسرورون لاستقبالكم "

اجابته جيلبير وسارة في وقت واحد :

" شكرًا "

ابتعد الضابط بعد ان حياهما . فقال جيلبير مسرعًا :

" اذا كان سكان قبرص يشبهونه ، فسنمضي وقتا ممتعًا لن ننساه ابدًا "

" نعم ، انه لطيف جدا "

" ويتكلم اللغة الانكليزية بطلاقة . اشعر انني كسول عندما ألاحظ أن الأجانب يجتهدون في دراسة لغتنا "

.

" وأنا مثلك أيضا . ربما بامكاني ان اتعلم شيئاً من اللغة التركية خلال إقامتي هنا " .

" واللغة اليونانية ايضا " .

ذكرته بكبرياء خفيف :

" نسيت اني أتكلم اللغة اليونانية قليلا ، ويعترف اليونانيون بأنفسهم ان لغتهم اصعب بكثير من لغتنا "

.

لم يعلق جيلبير على كلام الفتاة . فاجتازا قرية تركية تدعى غونيللى . الرجال السمر يجلسون على شرفات المقاهى والنساء يرتدين الأسود ويحملن اشياء ثقيلة . شاهدا قرى صغيرة منتشرة فى سهل الميساوريا . المآذن العالية تنتصب فوق البيوت القرميدية . وفي هذه المرحلة من السنة ، الأرض تتألف بكل مجدها الربيعي ، الأرض الخضراء المرصعة بالبقع الملونة : المارغريت الأصفر والخشخاش الأحمر . . . ومن بعيد حيث ينبت القمح بوفرة .

قالت سارة من دون حماس :

" كان يجب ان أدوّن بعض ما رأيته "

نظر إليها جيلبير مبتسمًا وقال :

" نعم ، كان يجب أن تدونى بعض المعلومات ، لكن الظاهر أنك غير متحمسة " .

" المنظر جميل للغاية ، اشعر برغبة في النظر والمشاهدة فقط " .

" اذن شاهدي يا ابنتي . سنعود لنأخذ الصور وندون المعلومات متى حصلنا على اذن بالتصوير " .

أشارت سارة بيدها الى المنظر الجميل الذي يحيط بهما فقالت :

" هذا المنظر لن يدوم طويلا " .

سيزداد الحر يوماً بعد يوم ، ومتى اختفت أزهار سنابل القمح ، لن ينبت شيء حتى هطول امطار الخريف في

أواخر تشرين الأول (اكتوبر) وأوائل تشرين الثاني (نوفمبر) .

" سيدوم هذا المنظر حتى نتمكن من تنفيذ أهم ما لدينا من عمل ، وسنظل هنا حتى أوائل الربيع من السنة المقبلة " .

والآن تجتاز السيارة الطريق المحدودة من جانبيها بصفين من الأشجار . فالظل مريح بعد اجتياز منطقة مشمسة شحت فيها الأشجار .

" هل تحبين ان تشربي شيئاً؟ " .

" نعم ، شكرًا . انني عطشانة جدًا " .

جلسا في المقهى ، وفى الحال اقترب منهما الخادم مبتسمًا . فقال له جيلبير :

" هل هذا العشب لك ؟ كيف ينبت هنا ؟ " .

" هل هذا يدهشك ؟ "

ضحك الرجل باكتفاء وتابع :

" الجميع يندهش للأمر . من النادر رؤية العشب الأخضر فى قبرص . لكني احب العشب كثيرًا وبما أن الماء وافر ، فليس هناك من صعوبة " .

قال له جيلبير وهو يرفع حاجبيه :

" ليس هناك من صعوبة ؟ كم تمضي من الوقت لتروي هذا العشب ؟ " .

" ساعة واحدة فى اليوم . هذا المنظر يستحق ان نكرس له كل هذا الوقت . ماذا بإمكانى ان أقدم لكما ؟ » .

احتسيا الليموناضة التي لم يسبق سارة ان تذوقت مثلها من قبل فالحامض ينبت فى الحديقة الواقعة خلف المقهى .

دفع جيلبير الحساب ونهض وقالا معا :

" شكرًا ، سنعود مرة اخرى " .

سأل الخادم وهو ينظر اليهما بفضول ، بينما كان جيلبير يعطى سارة حقيبة يدها :

" هل جئتما لتمضية عطلة هنا ؟ " .

" كلا ، نحن هنا لنضع كتابًا " .

" عن قبرص ؟ " .

هز جيلبير ايجاباً ، ففرح الرجل وقال :

" اهلا وسهلا بكما في جزيرتنا " .

قال جيلبير عندما صعد الى السيارة :

" يتهيأ لي ان الجميع سيستقبلونا بأذرع مفتوحة . هذا البلد يفتنني حتى الآن " .

" وأنا كذلك " .

شعرت بحماس وفرح لم تشعر بها من قبل. ربما لأن هذا الاتصال الأول مع الجزيرة يبشر باقامة حلوة ومع

ذلك كانت تشعر بقناعة غريبة بأن هذا الشعور غير مرتبط بلطف الناس الناس وحسن ضيافتهم .

بعد دقائق قليلة ، اتجهت السيارة نحو الممر الجبلي الذي يقاطع خاصرة سلسلة جبال كيرينيا . وعلى قمم هذه الجبال ينتصب قصر هيلاريون وقصر بوفافنتو ، اللذان يعودان الى عهد الصليبين . وهنا كان الهواء مليئا برائحة الاشجار وعطر اللاوندا البرية والصعتر .

وما ان أطلا على سفح الجبل حتى سارا نزولا من جديد . ونحو الشمال كانت قمم الجبال خضراء ، مغطاة بأشجار السرو والخروب . فجأة اطلقت سارة زفرة استغراب ودهشة عندما اطلت امامها مدينة

كيرينيا . القصر يطل على المرفأ ، البحر الازرق يمتد حتى جبال تركيا وقممها البيضاء تلمع تحت الشمس .

" يا له من منظر خلاب ! "

" انه رائع حقا ! "

انعطف جيلبير واذا به يصل الى علو رجل يمتطي حمارًا ، وزوجته تمشي بقربه حاملة كيسًا ثقيلا بيد وطفلا على ذراعها .

قالت سارة بجفاف :

" بعض العادات والتقاليد هي واحدة في كل البلدان الشرقية "

قهقه جيلبير ضاحكًا وقال :

" الرجل هو كل شيء والمرأة لا شيء . هذا ما تفكرين به ، اليس كذلك ؟ "

" هذا يجنني ! "

" يجب ان تكوني معتادة على هذا الأمر "

سكتت وراحت تفكر بكارلوس . كان والداه قبرصيين يونانيين ولد في قبرص وامضى طفولته في انكلترا . ربما بالنسبة اليه ، العادات والتقاليد الغربية محت عنده الشعور بالتفوق الرجولي الخاص بالشرقيين .

اصبحت كيرينيا وراءهما . ولم يعد أمامهما الا بضعة كيلومترات كي يصلا . كانت السيارة تسير على طول الشاطىء ، البحر عن يمينهما والتلال الخضراء على يسارهما . ثم اخذت طريقًا يتسلق عاليًا بين المراعي

وحقول الحمضيات . وفجأة أوقف الكاتب السيارة أمام بريد القرية ليسأل عن الطريق ، فأثارا اهتمام الرجال الذين كانوا يشربون القهوة خارجًا ويلعبون الورق . كل الاحاديث توقفت وسارة كانت محط اهتمام الجميع . عشرات النظرات راحت تحدق بها مفصلاً ، وهي تبتسم لهم بلطف . لن تفهم ابدًا أي فرح يشعرونه عندما يراقبون تفاصيل جسمها ولا شك انهم يتسألون عن علاقة جيلبير بسكرتيرته .

كان مستخدم البريد القبرصي اليوناني رجلا شابًا ومحبًا . يتكلم اللغة الانكليزية بطلاقة . دلهما الطريق المؤدية الى الفيللا البيضاء الواقعة على رأس التلة . وبعد

دقائق معدودة استقبلهما كيريا ودافوس خريستو ، الزوجان المستخدمان عند صديق جيلبير .

الفيللا كانت رائعة حقا . على الشرفة تنبت نباتات العريشة ذات الالوان الفاقعة بالأحمر والليلكي . وداخل المنزل كل وسائل الراحة العصرية والتكييف موجودة .

" اهلا وسهلا بكما الى جزيرتنا "

ابتسم دافوس وهو يحييهما ، كان قصير القامة ، كبير الجثة . شعره الأسود يرجع الى الوراء مظهرا جبينه العريض . يبلغ حوالي الاربعين من العمر بينما زوجته لا شك تصغره بعشر سنوات على الأقل .

قالت الزوجة شيئا باللغة المحلية ، فاسرع الزوج يقول :

" زوجتي لا تتكلم الانكليزية الا قليلا . انها تتمنى لكما الرحب والسعة كما هي سعيدة للتعرف اليكما ومستعدة لتأخذ الآنسة الى غرفتها " .

تبعت سارة كيريا . وصعدا معًا سلمًا طويلا أدى بهما الى غرفة بيضاء وزرقاء . النافذة الواسعة تطل على الشمال . ومن النافذة الجانبية رأت حديقة الفيللا المزروعة بمختلف أنواع الاشجار المثمرة ، الحمضيات والتين والرمان وغيرهما من الفواكه المختلفة .

قالت سارة بينما كانت كيريا تودعها :

" شكرًا كثيرًا . اوه . . . افخاريستو بولي "

ابتسمت المرأة وغادرت الغرفة .

توجهت سارة الى الباب الزجاجي وخرجت الى الشرفة المليئة بالأزهار . ظلت واقفة تتأمل شجر الحمضيات وتنظر الى البحر الممتد بعيدًا الى ما وراء المرج .

رن جرس الغداء في الوقت الذي كانت تستعد فيه سارة الى النزول فكانت قد استحمت وارتدت فستانًا قطنيًا واسعًا . وكان جيلبير جالسًا في الصالون فاشار اليها بالاقتراب .

" ما زال أمامك الوقت لتناول كأس صغيرة الآن . بعد تفكير هادىء ، توصلت الى ضرورة اخذ اجازة مدتها اسبوعين قبل البدء بالعمل الجدي . خلالها يمكننا ان نستكشف المنطقة مليًا ومن دون عجلة "

قدم لها الكأس وقال رافعًا كأسه :

" لنشرب نخب نجاح اقامتنا في قبرص ! "

" أسفارنا الى الخارج دائما مكللة بالنجاح . آمالنا لم تخب حتى الآن "

ظل برهة صامتًا ، يعض على شفتيه ويفكر . اخيرًا اعلن قائلا :

" هذه المرة ، سأكتب شيئًا آخر ، مختلفا عن السرد الآلي للرحلة . اشعر بأن هذه الجزيرة تستحق عملا مبدعًا . . . لنقل . . . عملا فنيًا "

فتحت سارة عينيها الواسعتين مندهشة . فهي تعرف ان جيلبير يعمل على هذه الكتب ليكسب المال والشهرة . ولم يسبق ان دخلت العاطفة في انتاجه .

" لا أعرف ابدًا ما يجول في خاطرك "

" ولا أنا اعرف . لذلك أريد ان انتظر قليلا قبل البدء في الكتابة . أشعر ان عليَّ ان اترك نفسي تنغمس في الجو القبرصي قبل مباشرة التأليف والخلق "

وبالرغم من اندهاشها ، وافقت الفتاة على العطلة التي ستتيح لهما استكشاف الجزيرة . وعبرت عن رأيها بامتنان وطيبة خاطر .

وفي صباح اليوم التالي ، استيقظت سارة في الخامسة بعدما دخل نور الشمس الى غرفتها . وبقيت ممددة برهة صغيرة تستمتع بهذا الجو الهادىء ثم قررت النهوض . ولشدة دهشتها وجدت جيلبير في الصالون يقرأ كتابا .

سألها ضاحكًا :

" ألم تستطيعي النوم ، أنت ايضا ؟ "

" بسبب نور الشمس . كان يجب ان أتذكر اغلاق النوافذ الخشبية "

" لا اتفق معك على هذا . البقاء في السرير في يوم كهذا ، اضاعة للوقت "

كان يتأمل المنظر الأخضر الممتد حتى الكنيسة المنتصبة وسط آثار المدينة التي كانت قديما مزدهرة وتابعة لملكة لابيتوس القديمة .

أضاف جيلبيير :

" في كل حال ، سنضطر الى بدء العمل باكرا في الصباح . فالحر سيكون قويًا في فترة بعد الظهر "

هزت رأسها . فهي معتادة على الحياة في الشرق وتعرف ان خلال فصل الصيف ، يتوقف العمل عند الظهر ليستأنف من جديد عند الرابعة . لكن جيلبير لا يستأنف العمل متى توقف . كان يقول دائما بأن عقله قد شاخ .

أخذ فطور الصباح باكرًا ، وفي السابعة ذهبت سارة للتنزه على الطريق الضيقة التي سلكتها بالامس . راحت تنظر باستحسان الى المنظر الأليف الذي يبدو لها جديدًا كل مرة . البيوت البيضاء والزرقاء مثل اليونان ، والمنازل النموذجية القبرصية المبنية من

الكلس المستخرج من جبال كيرينيا ، والتي اصبحت لونها بلون الصلصال مع مرور الزمن .

لكن المنازل جميعها تتشابه من الخارج . فمداخلها مزينة بالزهور المختلفة ذات الالوان الزاهية والعديدة .

على يمين الطريق تمتد اشجار الحمضيات الى السهل الضيق الساحلي . لم تلتق سارة الا بعدد ضئيل من الناس ، ذلك لكونها بعيدة عن قلب المدينة . غير انه ، من وقت الى آخر ، تظهر مجموعة من التلامذة ، يرتدون المراييل الزرقاء ويحملون حقائبهم المدرسية على ظهورهم . في قبرص تبدأ المدارس في ساعة مبكرة وتنتهي وقت الغداء . كان التلاميذ ينظرون الى المرأة الاجنبية بعيون واسعة ولما كانت تحييهم قائلة

"كاليميرا" بابتسامة كانوا يردون عليها بالمثل .

وبعضهم كان يسألها عن اسمها .

عرفت منهم انهم يأخذون دروسًا باللغة الانكليزية في المدرسة فردت: "اسمي سارة " لتسهل عليهم فهمها . وكانوا يرددون "سارة" ثم يضحكون عاليًا ، حتى تختفي عن انظارهم . تبتسم سارة وتكمل طريقها . فقريبًا جدًا سيعرف استاذ المدرسة ان فتاة انكليزية تتنزه في القرية في السابعة والنصف صباحا .

وصلت الى مفرق طرق وترددت لحظة قبل ان تختار الطريق المتجهة نحو اليمين . لكنها ما لبثت ان تساءلت بعد قليل عن سبب اختيارها لهذا الاتجاه ، فادركت بأن ذلك عائد الى سماعها خرير المياه التي

تطفر على الصخور ، او ربما الى منظر الاشجار الرائعة والنباتات المتسلقة . ام يا ترى بسبب ذلك المنزل الرائع الذي اعطاها رغبة في النظر اليه من قريب . كان مبنيًا وسط حديقة كبيرة ومتسمًا بلمسات النبل والفخامة . امام المنزل رواق من الطراز التركي غابت الشمس عنه وهو في الظل الآن .

اقتربت سارة وتوقفت امام الباب الحديدي لرؤية العشب الأخضر الكثيف الذي يكلف اموالا طائلة .

غير انها سرعان ما رأت شلالا طبيعيًا يهبط من الصخور التي تحيط بالمنزل في الجهة الجنوبية . هناك سبيل ماء ينبثق من بين الاشجار . وفي كل الحديقة

تتفتح الازهار ، وبعض اوراقها يتساقط كالفراشات فوق حوض السباحة .

وبينما كانت تستعد للعودة ، شاهدت فتاة صغيرة في حوالي الخامسة من عمرها ، تخرج من الرواق . فستانها البيض المنشى ، لا غبار عليه . شعرها الاسود مربوط بأشرطة حمراء . حذاؤها ابيض جديد . تحمل محفظة جلدية على ظهرها وكيسًا ابيض صغيرًا في يدها .

هبطت السلالم ، فابتعدت سارة وسمعت صوت امرأة تقول :

" انتبهي الا توسخي ثيابك . تعرفين جيدًا ما يكون قصاص والدك اذا رأى بقعة وسخ على ثوبك "

لم ترد ، وبعد قليل كانت جالسة في سيارة كبيرة قرب سائق . مرت سارة بجانب السيارة ، فاشبكت نظراتها بنظرات الفتاة الصغيرة واصيبت بارتعاشة في ظهرها .

كانت ملامح الفتاة نبيلة ، بجبينها العريض وشعرها الاسود وفمها الممتلىء . . . لكن . . . عينيها . . . وحدهما لفتا انتباه سارة وجعلتاها تشعر باضطراب قوي . . . عيناها خضروان غامقتان . . .

" انتهى الفصل الاول "

2- لقاء فتاة صغيرة كبيرة

ولدى عودتها الى الفيللا ، فوجئت سارة بزائر يتحدث الى جيلبير . نهض الرجلان لدى دخولها الدار . فقال جيلبير مشيرًا الى الرجل الغريب :

" اقدم لك السيد برود هورست . وهذه سارة انجلوس سكرتيرتي "

" انجلوس ؟ انه اسم عائلة يونانية . لكنك انكليزية اليس كذلك ؟ "

شرحت له وهي تسلم عليه باليد :

" لكن العائلة التي تبنتني هي قبرصية يونانية "

" صحيح ؟ اذن انت في الوطن ؟ "

ابتسمت وهزت رأسها وقالت :

" انني ازور قبرص للمرة الاولى . وعائلتي بالتبني كانت تعيش في انكلترا ومعها الجنسية البريطانية "

" اه ، فهمت "

اخبرها جيلبير ان السيد برودهورست يسكن قرية ايوس ميخايليس ، على بعد كيلومتر واحد من لابيتوس . لقد علم بوجودهما في الجزيرة وجاء يدعوهما الى حفل بسيط ، حيث بامكانهما التعرف الى اشخاص بريطانين والى اصدقائه العاملين بالسفارات وبعض القبارصة والعسكريين التابعين للقاعدة العسكرية ايبيسكوبي .

" هذا لطف منك ، ياسيد برودهورست . . . "

" ارجوك ان تنادني باسمي الصغير ، كورني . . هنا لا ننادي الاشخاص باسماء عائلتهم . اتمنى ان يكون بامكاني ان انادیك سارة ؟ "

هزت رأسها موافقة . فتابع يقول :

" سوف انظم هذا الاجتماع الصغير ، بنفسي "

ثم سأل جيلبير أي وقت يناسبه فاجاب :

" لا فرق عندي . انا حر الآن ولن ابدأ العمل الا بعد اسبوعين . اشكرك انا ايضًا "

" لا شيء يستحق الشكر . في قبرص الناس مضيافون . وبعد قليل ، ستدركون ان هذا شيء طبيعي "

" نعم ، سمعنا ذلك ، لكننا لم نكن ننتظر دعوة بهذه السرعة "

" انتظرا قليلا فستجدان الهدايا على عتبة الباب "

" الهدايا ؟ "

" البرتقال ، البندورة ، كل ما ينبت في الحدائق .

وفي عيد الفصح ، سيهديكما احدهم قالب العيد .

وستصبحان من اهل البيت وستتلقيان دعوات لحضور الاعراس . فالقبارصة يحبون كثيرا رؤية الاجانب يحضرون احتفالات الزواج ولو كان لديهم الف ضيف "

فتحت سارة عينيها اندهاشًا وقالت :

" الف ضيف ! "

" في القرى ، الجميع تقريبا مقربون الى بعضهم .
فهناك الاعمام والعمات وابناؤهم ، كلهم يأتون
خصيصا من القرى العديدة "

" واين يجلس كل هولاء المدعويين ؟ "

" تعرفون من دون شك ان العروس تجلب معها مهرًا .
وهو كناية عن منزل وقطعة ارض حوله . وتتم وليمة
العرس هناك ، تحت اشجار الزيتون والحامض . كل
شيء يكون رائعًا : الشراشف البيضاء والفضية التي
يجلبها الاقارب كهدايا للعروس والطعام ! لن تروا في
أي مكان اخر مآدب كهذه "

توجه كوريني نحو السلالم ليخرج منها ثم قال :

" نعم ، ستفرحان بحضور زفاف قبرصي ! "

اشار اليهما وداعًا وابتعد . وامام الباب الحديدي التفت وهتف :

" سارسل اليكما بطاقات الدعوة خلال اسبوع تقريبا "

تم الاحتفال وراء الحانة الواقعة قرب نبع كيغالوفيزو الذي تنبع مياهه من شق في الصخر الواقع فوق مدينة لابيتوس . ومن الحدائق يبدو المنظر رائع للجبل الممتد حتى البحر ، حيث تنعكس اشعة شمس المغيب . انغام موسيقى البوزوكي وصلت الى آذان جيلبير وسارة عندما خرجا من السيارة قاصدين الحانة القريبة . كان الاستقبال تحت قبة من العرائش الخضراء . قدمهما

كوريني الى اصدقائه . والجميع تمنوا لهما اقامة سعيدة في قبرص .

" آه ، اين اصدقائي القبارصة ؟ "

نظر كوريني حوله وقال :

"آه ! اندرياس ! اريد ان اقدم لك سارة . . . هل شاهدت كارلوس ؟ "

" انه هنا يتحدث مع ال دييغ "

نظر اندرياس الى نحافة جسم سارة وقال :

" اخبرني كوريني انك تؤلفين كتابا "

قاطعته سارة ضاحكة :

" لا افعل سوى مساعدة مديري "

تبعت نظرات كوربي ولمحت ظهر رجل طويل القامة ، شعره اسود وكتفاه عريضان .

ناداه كوربي ، فالتفتت الرجل نحوه ، ثم اعتذر من آل ديينغ وتقدم نحوهما .

شعرت سارة بشحوب يحتل وجهها وبدأ قلبها يخفق بسرعة وخارت قدماها وصرخت :

" كارلوس ! "

توقف كارلوس ونظر اليها فترة من دون ان يفهم ، ثم اقترب منها ببطء . لم يسمع كوربي صراخ سارة لانشغاله باحد المدعويين . فاصيبت بدوار وهي تمد يدها للسلام . فشد كارلوس على يدها بقوة كادت ان تفقدها وعيها من شدة الالم . جاء احد ليعلم

كورني بان صاحب الحانة يريد ان يكلمه . فاعتذر وتركهما . وبقي كارلوس وسارة وحدهما على مدخل الحديقة .

لم يقل كارلوس شيئا . همست سارة اخيرًا قائلة :

" انا غير قادرة على التصديق . يا لهذه المفاجأة الحلوة ! "

غالبًا ما تساءلت اين يعيش ، مقتنعة انه ما يزال يعيش في اليونان . كان يجب ان تدرك مكان وجوده لأن قبرص هي وطنه الام .

رددت قائلة :

" انا غير قادرة على التصديق "

فجأة شعرت بانزعاج ، اذ اكتفى كارلوس بالتحديق فيها بعدائية وغياب النضج ظاهر على ملامح وجهه القاسي .

ظلَّ صامتًا ، وتساءلت ما اذا كان اللقاء قد ادى به الى بعض التوتر كما حدث لها . حاولت البحث عن زوجته ، وفجأة عادت الى ذاكرتها الفتاة ذات العينين الخضراويين . . .

" هل اليسون معك ؟ "

" ماتت اليسون بعد قليل من ولادة ابنتنا "

نفرت شرايين صدغيها ، مؤكدة انفعالها القوي ، لكنه ظل يحدق بها ببرود .

" انا متأسفة ياكارلوس . . جدًا متأسفة "

احتلها الم عميق لهذا النبأ وتحسرت عليه لفقدان زوجته باكرًا ، تلك الانسانة الوحيدة التي احبته ، او بالاحرى التي شعر انها تحبه . ظل جامدًا ولم تكن سارة تعرف ما اذا كان اللقاء يفرحه ام لا . انزعجت وازاحت نظرها وسمعته يقول :

" هل تحبين الجلوس ؟ هناك زاوية لطيفة تحت الاشجار "

ابتسامة خفيفة ملأت وجهه . وشعرت سارة بسعادة كبرى لرؤيته بعد هذه السنوات الطويلة . فقالت :

" هل تريد ان تجلس . . معي ؟ "

هز رأسه وبدا تعبير وجهه قاسيًا الى درجة ان الفتاة ارتعبت . فقال :

" ليس لدينا ما نقوله ، ياسارة "

وعن قصد ادار وجهه لينظر في مكان آخر . كان عدد من المدعوين جالسين تحت الاشجار وبعضهم قرب النار حيث تشوى اللحم . ثم وصل عدد كبير من الرجال ودخلوا المكان في خطوات لا مبالية .

قال كارلوس لسارة دون ان ينظر اليها :

" اعذريني . يجب ان احدث اصدقائي هناك "

قالت بصوت متوسل :

" لا تذهب "

نظر باحتقار الى اصابع الفتاة الموضوعة على معصمه فقال :

" ذاكرتك ضعيفة ، ياسارة . قلت لك ان اليسون ماتت . . . منذ خمس سنوات "

" لا افهم . لماذا تقول ان ذاكرتي ضعيفة "

التفتت اليها وعلى لسانه جواب حاضر:

" منذ خمس سنوات ، ارسلت اليك برقية لاشرح لك ان السيون بحاجة للمال لاجراء عملية جراحية طارئة بسبب مشاركات تبعت الولادة . فقد نصحني الاطباء بأن اعالجها عند جراح مشهور في لندن ، ولم يكن عندي المال الكافي للسفر . وطلبت منك ان تقرضيني بعض المال "

توقف واحمر وجهه واضاف :

" لم افكر ابدا اني سأهان يوما ، ولكن لا مجال للكبرياء في هذه الظروف القاهرة "

نظر الى سارة التي كانت تضغط يدها المرتجفة على خدها بقلق ، فتابع بصوت بطيء :

" لقد تجاهلت طلبي ، ولما توصلت لاستدانة المال الكافي ، كان قد فات الاوان "

انغمس داخل ذكرياته الخاصة بينما ظلت سارة جامدة ، مذعورة ، لا تصدق ماجاء في كلام كارلوس الذي اضطر ان يستعطي المال الذي يعود له حقا ، وماتت زوجته لانه لم يحصل عليه . . .

تكلمت سارة اخيرًا بصوت خائب :

" لم استلم برقيتك . . . اقسم لك بذلك . لا شك انها وصلت عندما كنت غائبة عن انكلترا ، فلا امكث في البيت الا نادرًا جدًا ، وذلك بسبب عملي الذي يتطلب اسفارًا متعددة "

نظرت اليه محاولة قراءة افكاره من تعابير وجهه فاضافت :

" يجب ان تصدقني ، ياكارلوس . . . نعم يجب ان تصدقني . هل تعتقد اني قادرة على تجاهل برقيتك ؟ انت تعرفني جيدًا "

راح كارلوس ينظر اليها بامعان كأنه يبحث عن دليل لصدقها وقال :

" الم تستلمي البرقية ؟ هل هذا صحيح ياسارة ؟ "

" نعم صحيح جدًا "

ظل يتفحصها لكنها اضافت لتقول :

" قل لي انك تصدقني ، يا كارلوس ، قل لي ارجوك "

اخيرًا هز راسه وارتاحت ملامح وجهه واجاب بصوت هادىء :

" نعم ، اني اصدقك "

ابتسمت وشعرت بسلام في قلبها وردت بلهجة ناعمة وملحة في آن واحد قائلة :

" هل بامكاننا الجلوس ؟ "

" طبعًا "

تناول كارلوس الكأسين وجلس قرب سارة كالغريب .

فسألته :

" قل ماذا فعلت ؟ ربما تفضل ان اتكلم انا اولاً ؟ انا هنا بسبب عملي "

" لست بحاجة ان تعملي ، اليس كذلك ؟ "

انه تلميح للمال . . . الذي يخصه .

" يجب ان اعمل لاعيل نفسي "

" هل يجب حقا ان تعملي ؟ "

صمتت لحظة باحثة عن الكلمات ثم قالت:

" لم امد يدي الى ثروتك . ولم يخطر ببالي يوماً ان اقبل هذا الارث "

اجاب بقسوة :

" المال لك "

" كلا ، كارلوس ، انه لك انت "

نظر في عينيها وقال :

" ما املكه هو مار بحته من عرق جبيني "

رددت على مسامعه ان ثروة والديه هي له وحده ،

فسألها :

" الم تصرفي منها شيئا ؟ "

وعفويا اقتربت منه وقالت:

" لا تلمني على ماحصل . . . ليس الذنب ذنبي اذا تبناني والداك . ولم اكن موافقة على الطريقة التي عاملوني بها "

توقفت لحظة ثم تابعت بلهجة اسف صادق :

" حزنت كثيرأ عندماادركت الوضع "

رمقته بنظرة متوسلة وقالت :

" الايمكننا ان ننسى كل هذا ونكون صديقين "

احست تمامًا ان كارلوس لا يشعر المشاعر نفسها ، لكنها غير قادرة ان تدعه يذهب مرة ثانية من حياتها فاضافت في لهجة اقتناع :

" انه مهم جدًا ان يكون للانسان احد عزيز على قلبه . انت ، لديك ابنتك الصغيرة ، اما انا ، فليس لدي احد "

هل دفاعها أثَّر به ؟ هل ايقظ فيه رغبة الحنان الاخوي ؟

وضع كأسه على الطاولة ببطء ثم التفتت لينظر اليها . كان مبتسما بعد ان اضاء وجهه وقال :

" لا أرى مانعًا فى ان نكون صديقين "

لمعت عينا سارة واحتلها شعور بالشكر وعرفان الجميل . فتأثرت وظلت صامتة لحظة ، ثم همست قائلة :

" شكرًا ، ياكارلوس "

ثم ، لم يعد هناك توتر او انزعاج بينهما . ظلا جالسين يتنفسان اريج الازهار التي تحيط بهما . ومن الطرف الآخر من الحديقة كانا يسمعان اصواتًا وضحكات واحاديث ونغمات للبوزوكي الحزينة . وكان اربعة شباب قبارصة يرقصون بخفة ومهارة .

" قلت لي انك تعملين ؟ "

قاطع كارلوس حبل افكار سارة . فقد خطرت في بالها فكرة رائعة بما يختص بالثروة التي اودعتها المصرف . متى حانت الفرصة المناسبة ستطلب من كارلوس ان يسمح لها بأن تحول هذا المال الى ابنته .

واذا وافق تكون قد تخلصت من حمل ثقيل .

تابع كارلوس يقول :

" من الصعب للاجانب ان يحصلوا على اجازات عمل ماذا تفعلين هنا ؟ " .

" اعمل عند الكاتب جيلبير غولغروف "

" انه يؤلف كتب الاسفار ، اليس كذلك ؟ لقد قرأت بعضا منها ، عملك ممتع ، اليس كذلك ؟ "

" نعم ، لاننا نسافر كل سنة . سنبقى في قبرص سنة كاملة وحين يزفَّ موعد رحيلي من هنا ، سنظل نراسل بعضنا ، اليس كذلك ؟ "

" طبعا "

قالت بعد تردد كبير :

" ربما بامكاني ان اقضي عطلتي معك ؟ "

اجابها في الحال ، كأنه يشعر بقلقها :

" يكون الامر رائعًا . هل تريدين المزيد من الشراب ؟ "

قبلت ضاحكة . من زمان لم تشعر بسعادة كهذه .

عاد كارلوس حاملا صينية المازة المؤلفة من عدد كبير من الاطباق الشهية التي تؤكل كمقبلات ، امسكت سارة كأسها وقالت :

" لنشرب نخب صداقتنا الجديدة ؟ "

رفع كارلوس كأسه وشربا معا . وبعد فترة سألته سارة عن اسم ابنته فاجابها :

" اريان . . . لكننا نناديها ريان "

" اريان . اسم جميل لمحتها ذات صباح عندما كنت اتنزه قبل الفطور . كانت في الحديقة وبعد ذلك رأيتها في السيارة معك "

" اتذكر ان التقيت بامرأة اجنبية "

" اننا نسكن في لابيتوس ، في فيللا يملكها اشخاص اميريكيون اثرياء "

" عائلة ستيفيل ؟ عرفت انهم اجروا منزلهم لصديق لهم . انه منزل فاخر ، هل يعجبك ؟ "

اجابت سارة بحماس :

" انه رائع فعلا والمنظر الذي يطل عليه المنزل جميل للغاية "

هز كارلوس رأسه وقال :

" اثاروا اهتمامًا كبيرًا في القرية عندما بنوا هذه الفيللا . لم يسبق ان رأينا مثلها في لابيتوس "

" منزلك رائع ايضًا . من الخارج على الاقل . انه اقدم من الفيللا التي نسكنها "

وافق كارلوس معها واضاف يقول :

" كان منزلي خرابًا عندما اشتريته . اعتقد انه سيعجبك بطريقة مختلفة عن اعجابك بالفيللا التابعة لآل ستيفيل "

" انا اكيدة باني سأحبه . بقيت مدة طويلة واقفة امام المدخل اراقب الحديقة التي اعجبتني كثيرًا "

" يجب ان تاتي لزيارتنا قريبا . ستفرح ريان بالتعرف على خالتها "

قال جيلبير لسارة قبل ان يذهبا للنوم :

" ياللمفاجأة . لا يسعني التصديق انك التقيت بكارلوس هنا ، لكني سعيد من اجلك ، يا ابنتي "

" لا يسعني تصديق ذلك انا ايضًا "

ابتسمت ومن دون وعي كتفت يديها وقالت :

" لقد دعاني الى زيارته . هل بامكانني تلبية دعوته والذهاب في الغد ؟ "

" طبعًا . قلت لك اننا لن نبدأ العمل قبل مدة وجيزة . لم اختر بعد نوع الكتاب الذي سأضعه . انه كتاب سفر ، لأن هذا ما ينتظر مني ، لكنني اريد ان افهم القبارصة لأدخل في الكتاب تجربتي الشخصية . فيستجاوز الكتاب تحديد الاماكن والاديرة . ويجب ان يعكس الحياة في الجزيرة باكملها "

اندهشت سارة ونظرت اليه برهة في صمت ، ثم قالت بأن الجزيرة بدأت تفتنها . فأجاب :

" اظن اني ساصبح رجلا عاطفيا كلما كبرت في السن . . . واقل اهتماما . . . "

لم تقل الفتاة شيئًا . بل عبر عينيها تعبير حالم . وتردد جيلبير لحظة قبل ان يضيف قائلاً :

" اعرف ان الامر لا يخصني ، لكن بما انك في الماضي قدوثقت بي وتكلمت معي بصراحة ، اشعر بجرأة الآن ان اطرح عليك هذا السؤال :

" هل اقترحت على كارلوس ان تعيدي له الثروة التي ورثتها عن والديه "

اشارت بحركة سلبية وقالت :

" كنت اكيدة بانه سيرفضها . لكني انوي ان احولها لابنته . وآمل ان يسمح لي بذلك . هذا المال يشبه سلسلة ضيقة حول عنقي "

ضحك جيلبير وقال :

" يا ابنتي العزيزة ، معظم الناس يشعرون بسعادة كبرى لامتلاك مثل هذه الثروة "

" لقد فكرت دائما ان هذه الثروة تعود الى كارلوس ولذلك لم المسها "

" كيف يعيش كارلوس الآن ؟ "

" يملك مروجًا واسعة وبساتين ليمون في شمال غرب الجزيرة ، قرب مورفو . . لقد تحدثت مع كوريني قبل انتهاء الحفلة ، فاخبرني ان كارلوس اصابه حظ يفلق الصخر . لكنه في البداية عمل كثيرًا وبقسوة . وعدا هذه البساتين ، يملك كارلوس ايضًا معملاً لصناعة المعلبات . انه يعلب الفاكهة "

" لا شك انه عمل بكد . اذا لم يكن يملك فعلا المال الكافي للذهاب الى انكلترا منذ خمس سنوات "

قالت سارة بصوت حزين :

" اليس ماحدث لاليسون امرًا شنيعًا ؟ كانت في عز شبابها "

رمقها جيلبير بنظرة غريبة وقال :

" هل تغلب كارلوس على هذه المحنة ؟ "

قطبت سارة حاجبيها وقالت :

" كان مضطربًا جدًا عندما اخبرني بموتها ، لكن . . . الظاهر انه تغلب على هذه المحنة "

" ليس من عجب ، فالزمن يمحو حدة المصيبة . بعد خمس سنوات ، لا تنسي ان الوقت علاج الالم "

وافقت سارة معه وتساءلت لماذا حبها لكارلوس بقي حيويًا وقويًا الى درجة انها لم تفكر ابدا ان تتزوج من رجل آخر . كان دائمًا موجودًا في عقلها .

وكانت لا تعرف سبب حبها المستمر . لقد اكتشفت حقيقة عواطفها تجاهه منذ ان كانت ما تزال فتاة صغيرة . والآن بعدما التقته من جديد بدأت تشعر بالسعادة لهذه الصداقة . لقد رأت بارتياح ان الحاجز الذي انتصب بينهما بسبب والديه تهدم في لحظات قليلة .

وبعد ظهر اليوم التالي خرجت سارة من الفيللا الحديثة العهد بخطى سريعة واتجهت نحو المنزل التركي الطراز حيث كان يعيش كارلوس وابنته .

استقبلها كارلوس على مدخل الحديقة ، بسرواله الرمادي وقميصه الزرقاء . فابتلعت ريقها بصعوبة وحاولت بجهد الابتسام . كم هو جذاب وواثق من نفسه ! وتساءلت لماذا تفقد ثقتها واتزانها الداخلي معه . تكلم كارلوس بدهشة وفرح :

" هل هناك شيء على غير ما يرام ؟ تبدين متقطعة الانفاس "

" اسرعت للمجيء . منذ الصباح وانا اشعر برغبة كبيرة في الوصول الى هنا "

ران صمت غريب . فتوجه كارلوس معها نحو المنزل

وقال :

" لقد تغيرت . لم تعودي مندفعة وعفوية كما كنت في الصغر "

رفعت رأسها لتنظر اليه وقالت :

" لم اعد اذكر . هذا زمن قديم وبعيد جدًا "

هز راسه وقال :

" تسع سنوات ! صبانا بعيد "

احتجت وقطبت جبينها :

" لسنا بأشخاص مسنين "

" لسنا عجزة ولسنا شبابًا . . . انا على الاقل ، لكن انت تصغرينني بخمس سنوات "

ما زال يتذكر عمرها ! ابتسمت وقالت محاولة تغيير الحديث :

" هل ريان هنا ؟ "

" نعم ، لكنها وسخت فستانها ومربيتها ثولا تساعدها على تغيير ملابسها "

تذكرت سارة هيئة الفتاة النظيفة وكلمات الخادمة : " انتبهي الا توسخي ثيابك . تعرفين ما يكون قصاص والدك اذا رأى بقعة على ثوبك "

ادخل كارلوس سارة الى الصالون وظلت واقفة وسط الغرفة معجبة بطرازها ثم قالت :

" انها رائعة . منزلك اقدم واجمل من منزلنا "

بدا مسرورا لهذه الملاحظة واشار الى مقعد مريح وقال :

" اجلسي يا سارة "

" شكرًا "

ظلت تنظر حولها وسألته :

" هل اشتريت هذه التماثيل والعاجيات من قبرص ؟ "

" كلا ، معظمها جئت بها من مصر ولبنان . احب السفر وغالبا ما اجلب معي شيئا من البلد الذي ازوره "

" جيلبير وانا ذهبنا الى مصر منذ سنتين ، لكني لم اجد مثل هذه الاشياء هناك "

" يجب ان تعرفي اين تفتشين . فالمحلات القديمة ليست معروفة لدى السياح "

اتجه نحو خزانة زجاجية وسألها :

" ماذا تحبين ان تشربي ، يا سارة ؟ هل تحبين ان تتذوقي عصير الفاكهة المعلبة من صنع معملنا ؟ "

www.riwaya.net مكتبة رواية

تناول زجاجة ورأت اسم انجلوس عليها . وبعد ان احتست جرعة من العصير قالت :

" انها لذيذة الطعم . انت تصنعها اليس كذلك ؟ "

" نعم . . . "

توقف عن الكلام وتلألأت عيناه الخضراوان فجأة فالتفت سارة الى الوراء ورأت فتاة باشد اناقتها ونظافتها واقفة على عتبة الباب .

" ادخلي ، ياريان . لا تخجلي . تعرفين من هنا ، اليس كذلك ؟ "

هزت الفتاة رأسها واقتربت . ثم مدت يدها بلطف وقالت كأنها تتلو امثولتها :

" صباح الخير ، يا عمتي سارة . انا سعيدة بالتعرف عليك "

وفي الحال توارى مزاج سارة المرح . هذا ليس التصرف الطبيعي لطفلة في سنها . ريان فتاة جدية بالنسبة الى عمرها ، فمن المسؤول عن هذا ؟ الاب ام المربية ؟

" وانا مسرورة ايضًا بالتعرف عليك ، ياريان . هل تحبين الجلوس قربي ؟ "

المقعد كان واسعًا لكن الفتاة رمقتها مترددة وقالت :

" اخاف ان ادعك فستاني "

توجهت الى كرسي آخرو جلست بتأن وحذر وانتباه .

ثم كتفت يديها فوق ركبتيها وراحت تتأمل سارة مطولا وتقول :

" قال لي والدي انك تسكنين فيللا السيد ستيفل .

كنا نزوره احيانًا "

" آه صحيح ؟ اذن ستأتين لزيارتي ؟ "

القت ريان نظرة الى والدها الذي كان جالسًا على الاريكة فهز رأسه وقال :

" نعم ، سنذهب لزيارة العمة سارة ! "

" وسنتناول الشاي كما كنا نفعل مع السيد والسيدة ستيفل ؟ "

" طبعًا "

بدأت سارة تشعر بانزعاج منذ وصول الفتاة . كانت تفضلها سارة بأحذية وسخة وشرائط معكوفة . كانت تشبه لعبة او دمى في واجهات المحلات ، جميلة ، كاملة ، مثالية . . لكنها مجردة من أي شخصية .

كيف يمكن لابنة كارلوس ان تكون خالية من الشخصية الى هذا الحد ؟ لا شك ان هناك من يخنقها ؟ لكن من ؟ رفعت عينيها الى كارلوس بتفصيل .

ولمع الجواب كالبرق .

كارلوس يعامل ابنته هكذا كردة فعل لآلام طفولته يريد ان يفعمها حبًا او يصرَّ على تغيير ملابسها كلما لطختها ببقعة واحدة .

ما العمل ؟ تساءلت سارة وهي تنظر الى ريان ووالدها مفكرة :

" لا يحق لي التدخل . ان ريان ابنة كارلوس وانا لست سوى غريبة . لكن أي اسف سيكون اذا لم تتغير هذه الفتاة ! سينتهي بها الامر الى ان تشبه يوما الانسان الالي! "

انتهى الفصل الثاني

3- الحب المردود

خلال الاسبوعين المخصصين للعطلة قبل البدء بالعمل كانت تمطر على سارة وجيلبير الدعوات من قبل القبارصة والانكليز . وخلال الأيام العشرة الأولى ، حضر جيلبير وسارة خمس حفلات كوكتيل وثلاث دعوات الى العشاء وسهرة اقامها لينوس بيتسوس بمناسبة عيد ميلاد شقيقته كاترينا التي بلغ عمرها السادسة عشرة . كانت قد تمت خطبتها من قبرصي يوناني ما زال يتلقى علومه في لندن . ولينوس كان يحضر جميع الدعوات التي دعي اليها جيلبير وسارة ، ولم يخف اعجابه بالفتاة الانكليزية الشابة .

كان ثريًا ويبلغ السادسة والعشرين من عمره ، ورث ثروة ضخمة عن والدته التي توفيت قبل سنة . يملك

بناية كبيرة في نيقوسيا ويسكن في شقة مع شقيقته ، لكنه يمضي عطل نهاية الاسبوع في قصره في ايوس غوريس ، البلدة الواقعة على شاطىء البحر . وامام واجهة الفيللا شرفة واسعة لأخذ حمام الشمس ، مزينة بالزهور والنباتات المتسلقة . وهنا تم حفل عيد ميلاد شقيقته . فتحت الابواب الزجاجية لكي يتمكن المدعوون من الدخول والخروج حسب راحتهم .

كان كارلوس وسارة جالسين في الدار عندما كان لينوس متوجهًا نحو الشرفة ، فتوقف ليثرثر معهما . وظل نظره محدقًا بوجه الفتاة ولم يبتسم الا لها .

ثم تركهما للقاء باقي المدعوين الجالسين على الشرفة .

ابتسم كارلوس بدوره وقال بلا مبالاة وبصوت مليء بروح النكتة :

" انك لا شك تلاحظين اعجاب لينوس بك "

لم ترد عليه لكنها احمرت خجلًا . فاكمل كارلوس حديثه قائلا :

" انه نصر لك ، ياسارة ، لان لينوس لا يهتم عادة بالنساء . هناك عدد لا يستهان به من العائلات يتمنون ان يصبح لينوس صهر بيتهم ، لكنه حتى الآن لم يعط اهمية لأية امرأة "

انطفأت ابتسامته . لا شك ان لاوعيه اخذه الى طفولته المستوحدة . فنادرًا ما تبتسم شفتاه النحيلتان

والقاسيتان ، اما نظراته ، فهي متحفظة وبعيدة كأنه ضائع في احلام كئيبة . وتتساءل سارة دائما اذا كان كارلوس يتخيل زوجته الراحلة ويتذكر الأيام السعيدة القصيرة التي قضياها معا . انه الآن لاشك منغمس بهذا النوع من الحلم في اليقظة . وكانت سارة تعرف جيدًا انه سيحزن اذا قاطعت حبل تفكيره . اخيرًا قطع الصمت بنفسه وقال بجدية :

" الم تفكري ابدًا بالزواج ، ياسارة ؟ "

ران الصمت من جديد . ماذا تكون ردة فعله اذا قالت السبب الذي من اجله لم تفكر بهذا الموضوع ابدًا ؟

اخيرًا اجابت :

" احب عملي . وهذا كافي ليمنحني الاكتفاء المطلوب "

التفت لينظر اليها مفصلًا . ومرت عيناه ببطء من جبينها الذي تنسدل عليه خصلات مجعدة من شعرها الاشقر الى ذقنها المروس ، ثم الى عنقها الانيق .

وردد رافعا حاجبيه بخفة :

" هل هذا يكفي ؟ لم اكن اعتقد ان الوظيفة تمنح المرأة كل ما تحتاجه . بصورة عامة ، تشعر المرأة بحاجة غريزية لأن تصبح امًا "

ابتسمت سارة وقالت :

" ربما انا مختلفة عن الآخرين "

تعبير بعيد ارتسم على وجه الرجل ، فمد ساقيه ونظر لحظة الى كأسه قبل ان يحمله الى شفتيه . ثم قال متثائبًا :

" الظاهر ان لينوس لا يعجبك بقدر ما انت تعجبينه "

" اراه لطيفًا ومحبًا ، لكني لا اشعر بالانجذاب نحوه ابدًا "

" هذا الشاب المسكين يضيع وقته ! سيفاجأ القبارصة اذا لاحظوا لا مبالاتك بسحره "

احتجت بسرعة :

" لم يغازلني وربما لا ينوي ذلك "

" صحيح ؟ المستقبل سيوضح الأمر . لكني اذا لم اخطىء ، فلن يتأخر لينوس في طلب يدك "

اندهشت وهزت رأسها . انها اكيدة انه مخطىء . وفي هذه الاثناء اقترب منهما جيلبير . جاء ليستعلم ماذا يفعلان في الداخل والليل في الخارج ناعم ومعطر .

اجابه كارلوس :

" لا اعرف "

ثم اقترح على سارة :

" ما رأيك لو نخرج الى الشرفة ؟ "

وافقت ونهضت من مقعدها . كانت ترتدي فستانًا قطنيًا ناعمًا وعلى معصمها تلمع اسوارة فضية اهداها اياها جيلبير في عيد ميلادها الخامس والعشرين .

سأل كارلوس الذي نهض ايضًا :

" الا تشعرين بالبرد ؟ "

ابتسمت وقالت :

" كلا "

وجدوا زاوية على حدة وجلسوا على المقاعد الزاهية الألوان وموسيقى البوزكي الناعمة تملأ الجو ، والمغنون يغنون اغنية حب حزينة تندمج مع الضحك والكلام .

قال جيلبير مادًا ساقيه الطويلتين :

" هذه هي الحياة . سأحزن اذا لم اتقاعد هنا "

كانت نظراته شاردة في الصخور وجبال كيرينيا المكسوة باشجار الزيتون والخروب وحيث تعشعش القرى الصغيرة .

سألت سارة ضاحكة :

" هل يتقاعد الكتاب ؟ "

لا اعتقد . يواصلون الكتابة حتى لا يعودوا قادرين على الوقوف على قدميهم . واعتقد اني لن اكون خلافا لهذه القاعدة "

تدخل كارلوس بلهجة محبة اذ قال :

" لا شك ان مهنة الكاتب مهنة مثيرة ؟ "

كان كارلوس وجيلبير متفقين تمامًا مع بعضهما وكانت سارة سعيدة ان ترى هذه الصداقة تنمو بالرغم من الفرق الشاسع من عمرها .

" وجدت كتابك عن اثيوبيا رائع للغاية "

" كنت متحمسًا وسعيدًا عندما كتبته "

" انها بلاد جميلة . الشعب لطيف ومضياف . الناس رائعون بملامحهم السامية وابتساماتهم المبتهجة وكذلك الاولاد ، اليس كذلك ياجيلبير ؟ "

هز رأسه موافقًا . لكن كارلوس لاحظ وهو يقول :

" اعجبني بصورة خاصة المنظر حيث تصف دفن القساوسة "

تدخلت الفتاة وقالت :

" علامة الحزن ، انه رائع حقًا ، يعتقد المرء انه صوت الجرس ، لكن في الواقع هو صوت التقاء صخرة معينة بصخرة أخرى ، حيث ينتج عنه رنة واضحة موسيقية . لكن جيلبير يصفه في كتابه بطريقة افضل "

احمر وجهها قليلا وسألت :

" هل تتذكر السيدة ستروموبورغ ، ياجيلبير ؟ يا لها من امرأة غريبة ! "

قهقهت ضاحكة فقال جيلبير :

" وكيف يمكن نسيانها ؟ "

ثم راح يشرح لكارلوس :

" تزوجت ثلاث مرات من ازواج كلهم اميريكوا الجنسية ، وكانت تملك الكثير من المال ولا تعرف ماذا تفعل بثروتها ، لذلك تبذرها بصورة شاذة . ومنزلها بغاية الجمال . شيدته على قمة جبل يطل على البحر . فارضية الدار مثلا ، كانت مصنوعة من الزجاج السميك جدًا . كما جلبت المرجان لأنه يجذب الاسماك الجميلة الملونة ، انه منظر غريب ورائع .

الاختراع الانساني يلائم هدف الطبيعة "

سأل كارلوس :

" الم تجدا صعوبة في التفاهم مع الناس ؟ "

" الجميع تقريبًا يتكلمون اللغة الانكليزية "

وبعد صمت قصير قالت سارة حالمة :

" الجميع يدعونك الى منازلهم . لماذا نحن الغربيون لانقلد الشرقيين ؟ "

قال كارلوس باحتقار :

" المال طاغية في الغرب "

قطبت سارة حاجبيها وتساءلت ما اذا كان يفكر بالثروة التي ورثتها عن والده . بلعت ريقها واقترب كارلوس منها ، لكن الهاوية ما زالت كبيرة بينهما . المال كان دائمًا بالنسبة اليها حملًا ثقيلًا وكانت تتمنى ان تعطيه لهيئة خيرية ، لكنها كانت تفكر انه ليس لها حق التصرف به . ففي اعماق اعماقها كانت تأمل بأن تلتقي بكارلوس وترد له ثروته .

وفكرت بابنته المتصنعة رغم جهودها لتجعلها تتصرف بشكل طبيعي . وكانت سارة مقتنعة انه متى اقتربت اكثر من الفتاة بامكانها ان تتكلم عن المال مع كارلوس من دون صعوبة . ستقترح عليه ان تنقل الأرث الى ريان .

قاطع جيلبير افكارها الحالمة وهو يتكلم من جديد عن اثيوبيا مع كارلوس الذي قال :

" يبدو لي ان اثيوبيا بلد رائع ومدهش . احب ان ازوره يومًا "

تدخلت سارة :

" آه ! نعم ، يجب ان تزور هذه البلاد ! ستفرح كثيرًا هناك "

" ربما اذهب يومًا "

ثم ابتعد بذهنه الى مكان ما . وتساءلت سارة بماذا يا ترى ، يفكر كارلوس الآن ؟

عاد جيلبير ليضيف قائلاً :

" اعتقد ان الوقت قد حان للابتداء بالعمل "

" ستبدآن بالقيام بجولة حول الجزيرة ، اليس كذلك ؟ "

" نعم . ربما نذهب اولاً الى بافوس "

" انها بعيدة جدا . ستمضون هناك بضعة اسابيع ، اليس كذلك ؟ "

" اسبوعين تقريبا . انها منطقة واسعة ولن نتوقف في كل الامكنة "

سألت سارة كارلوس :

" هل تعرف بافوس جيدًا ؟ "

" كلا ، لا ابقى هناك طويلا . المنطقة لا تشمل فقط مدينتي بافوس وكتيما . انما معروفة خصيصا باسطورة افروديت "

" رمز النسيم العليل على امواج البحر "

قال كارلوس بفضول :

" تبدين عاطفية ياسارة . لم يتهيأ لي ذلك في لقائنا الأخير "

اجابت بهدوء :

" لست عاطفية "

تدخل جيلبير وقال :

" سارة تعيش من اجل عملها . وقريبي يأمل بالزواج منها . . . "

هز رأسه ونظر الى سكرتيرته مبتسمًا :

" اتسأل احيانا اذا لم يكن كولن يضيع وقته "

رفعت سارة كتفيها واجابت :

" انه يعرف ماهو تفكيري بالزواج . لا اعتقد انه يضيع حقًا وقته معي . ويومًا ما سيلتقي بالفتاة المناسبة وسندعى كلنا الى عرسه "

جاء عدد من المدعوين لينضموا اليهم وتشعب الحديث الى مواضيع شتى .

جلس لينوس قرب سارة ونظر اليها مرارًا في ابتسام . وردت عليه الابتسامة بتهذيب آملة ان تكون برودتها كافية لتعبر له عما تشعر به تجاهه . لكنه لم يفهم . افهمته انها ستغادر لابيتوس عما قريب وستتغيب مدة اقلها اسبوعان . فتجهم وجهه ولم يعلق على كلامها .

لكنها اضافت لتقول :

" لن نبقى هنا كثيرًا . علينا ان نكتشف الجزيرة "

ادركت ان كارلوس كان يصغي الى كل ما كانت تقوله الى لينوس . لكنه لم يبدو عليه الاهتمام بالموضوع .

حزن قلبها فكارلوس يهزأ من اهتمام الرجال بها واطلقت زفرة عميقة . كارلوس اخوها بالتبني ! . . لكنه ما زال يعتبرها مثل اخته وعليها في المستقبل ان تفعل مثله .

انتهى الفصل الثالث

4– اشعر بحزن كبير

اختار جيلبير الطريق التي تمتد على طول الساحل ، فالبحر يطل على اليمين وسفوح جبال كيرينيا المليئة باشجار الزيتون والخروب ، على اليسار . هنا وهناك فلاحة بثوبها الأسود تحرس قطيع من غنم او ماعز . الربيع على آخر الأبواب لكن ازهار البنفسج ما زالت تتفتح على اطراف الطريق وكذلك ازهار الرمان الجميلة التي تضيف سحرًا ناعما على السياجات .

قال جيلبير مقاطعًا احلام سارة :

" انت صامتة على غير عادتك "

التفتت نحوه وابتسمت له واجابت :

" افكر بكارلوس وريان "

بعد تردد قصير سألها الكاتب :

" هل تشعرين برغبة في التحدث الي ، ياسارة ؟ "

حدقت من جديد في الطريق امامها : فانعطفت السيارة الى اليسار نحو خليج مورفو واصبح البحر وراءهما .

" انت مثل ابي "

ليس هذا الرد سوى جواب جزئي لسؤاله فاضاف يقول :

" افتحي لي قلبك يا ابنتي . ربما هذا يساعدك "

" انا قلقة خاصة فيما يخص ريان . لقد شاهدتها ، ولا شك انك لاحظت انها تشكو من نقص في الامور الطبيعية الفطرية "

هز جيلبير رأسه وقال :

" ان الاسم واضح للغاية ومن السهل ملاحظته ، هذه الأبنة تشبه آلة صغيرة . واتساءل احيانًا فيما اذا كانت تشعر باي عاطفة "

قالت بعد صمت قصير :

" هل تساءلت ماسبب ذلك ؟ "

تذكرت سارة حادثة حصلت منذ اسبوعين عندما جاء كارلوس وريان ليتناولا الطعام في الفيللا . وراحت

سارة تلهو في تشعيث شعر ريان ، فكانت رد فعل كارلوس الطبيعية ان قطب حاجبيه . وبعدها عندما راحوا يلهون في بركة السباحة كانت سارة اول من غطس رأسه في الماء بينما كانت ريان مجبرة على ان ترتدي قبعة السباحة بامر من والدها .

اجاب جيلبير بعدما اوقف السيارة على جانب الطريق كي يفتح الطريق امام فلاحة كي تمر مع حمارها المحمل :

" بعد كل الذي اخبرتني اياه عن طفولة كارلوس ، اعتقد ان تربيته لابنته ليست سوى مجرد رعاية فوق اللزوم "

" انا اوافقك الرأي كليًا "

" يخاف كارلوس ان تشعر ابنته بنقص في الحب . لا ، الامر اسوأ من هذا . يريد ان تكون ريان متأكدة في كل لحظة من حياتها انها فتاة مرغوبة . وهنا مشكلة نفسية دقيقة . الحل الوحيد هو شفاء كارلوس ، النفسي طبعا "

قالت سارة مندهشة :

" لا افهم "

" كان من المفروض ان يكون زواجه ساعده على الخروج من الانكماش على نفسه ، لكن الظاهر الواضح ، ان ذلك لم يحدث "

توقف جيلبير كأنه ينتظر سارة ان تتدخل في الموضوع ، لكن الفتاة دعته يتابع كلامه . فاضاف قائلاً :

" اذا كان الزواج لم يشفه من امراضه النفسية ، هذا يعني ان ذلك الاتحاد لم ينفعه "

ظلت سارة تفكر فترة قصيرة ثم قطبت حاجبيها وقالت :

" ما زلت لا افهم "

" الامر سهل للغاية ، فلا احد اراده فعلا "

صرخت سارة بجنون :

" آه ! لا تقل هذا الكلام ! زوجته . . . لا شك انها كانت واقعة في حبه "

" لا شك في ذلك . لكنني متأكد انه ، اذا حصلنا على كل عناصر المشكلة سيتوضح لنا ان الحب الذي كان موجودًا في البداية بينهما لم يدم طويلا "

" دام زواجهما اربع سنوات وثمرة حبها ريان "

كان الحزن يملأ صوت الفتاة . لا يمكنها ان تتحمل التفكير بأن كارلوس كان تعسًا مع زوجته ، اضاف لما عاناه طيلة حياته من طفولته الى سن المراهقة ، الى النضج الذي ادى به لتكوين عائلة .

" بالعكس ، هذا يدل على انهما لم يكونا متحدين بكل ما في الكلمة من معنى "

" تقصد ان . . . "

توقفت عن الكلام بعد ان احمرت وجنتاها ، ثم اضافت بصوت مخنوق :

" انا اكيدة انك مخطىء "

غير انها راحت تتساءل ما اذا كان جيلبير على حق في استيعابه للرجل بوضوح . فاذا لم يكن كارلوس بالفعل سعيدا مع اليسون . . .

ابتلعت ريقها بصعوبة :

" يحزنني كليًا تصور كون كارلوس لم يعرف معنى السعادة بعد "

رمقها جيلبير بنظرة متسألة قبل ان يركز من جديد انتباهه على القيادة . ودخلت السيارة في منطقة مليئة

بالمروج الخضراء . لكن سارة كانت تنظر الى هذا المنظر الخلاب تائهة في احلامها ، وتفكيرها منصب كليًا على كارلوس .

قال جيلبير بلهجة غير مقتنعة :

" ربما انا على خطأ "

وفهمت انه يحاول تهدئة مخاوفها . لكن فات الاوان . فكرت بما قاله جيلبير وشعرت بألم لانها فشلت عندما حاولت الاقتراب منه . . . لو نجحت ، لما تزوج كارلوس من اليسون .

ادارت نظرها نحو النافذة ، تخاف ان يقرأ جيلبير افكارها من خلال تعابير وجهها . اخيرًا قالت :

" لا شك ان كارلوس وزوجته كانا يحبان بعضهما جدًا عندما قررا ان ينجبا ولدًا . لا اعتقد ان زواجهما كان غير موفق "

" لقد قلت لك انهما لا شك كانا سعيدين في البداية . عندما وهبت اليسون حبها قبله كارلوس بالحاح وسرعة . كان شابًا وينقصه النضج . اعتقد انهما لم يحبا بعضهما بعمق . لو احاطته زوجته بالحب الحقيقي والعاطفة الصادقة ، لتوصلت الى مساعدته في الخروج من هذا الانكماش الذاتي القوي لكنه لم يشف والدليل هو كيفية تصرفه مع ريان "

رفع كتفه ثم اضاف :

" عدنا من جديد الى نقطة الانطلاق "

" وريان ؟ ولدت خلال اربع سنوات زواج "

" ربما احدهما وحده رغب في الانجاب "

" تعني انها جاءت من دون حب ؟ "

" ليس هذا غريبا ، خاصة في الشرق . لا تنسي ان كارلوس رجل شرقي حتى لو كان والداه قد حصلا على الجنسية البريطانية ، وهو نشأ وترعرع في انكلترا "

تخيلت وجه كارلوس القاسي كأنه مصقول بالطين ، وكذلك ملامحه الكلاسيكية وبشرته الجافة وجبينه العريض . نعم ، انه قبرصي يوناني ويملك كل مميزات اسلافه .

فانغمس كل منهما في افكاره . ما زالت الشمس منخفضة في السماء لانهما غادرا الفيللا في ساعة مبكرة . وكانا ينويان التوقف في اماكن عديدة قبل الوصول الى بافوس ، وبالاخص زيارة قصر فوني .

لكن في الوقت الحاضر ما زالا في منطقة المروج والبساتين التي يخصبها نهر غرين سيراخيس . بينما الجزيرة ككل البلاد جافة خلال جزء كبير من السنة . ومعظم القبارصة الاغنياء ، ومن بينهم كارلوس ، يملكون هذه الاراضي ، كما يملك ايضا بساتين اخرى في منطقة فاموغوستا . وفكرت سارة ان كارلوس عمل بقسوة ليتمكن من تملك كل هذه الاراضي ، هو الذي كان بغنى عن هذا التعب والارهاق ما دام

حاصلاً على ثروة نائمة في الوقت الحاضر في المصرف ! وحبها لكارلوس هذا الرجل الذي ما زال حتى الان ، وهو في سن الثلاثين ، متأثرًا بطفولته التعيسة ، تأثيرًا كبيرًا حتى المرارة . وجدت سارة انه ليس بامكانها ان تفعل شيئًا لابنته وبأسف شديد فهمت سارة انه من لمستحيل عليها ان تصحح الاخطاء التي يرتكبها كارلوس باللاوعي . اطلقت زفرة ، فرمقها جيلبير بنظرة سريعة خفية وقال :

" ماذا هناك ، يا ابنتي العزيزة ؟ "

ابتسم ليخفف من حزنها وقال :

" دعك من انشغال البال ، فليس بوسعك ان تفعلي شيئًا "

" ادركت ذلك الان ، ان مشكلة ريان لا تجد الحل الا بشفاء كارلوس لكن كيف باستطاعته ان يتحرر من نفسه ؟ "

" يجب عليه ان يتزوج من امرأة تقدم له كل حب وحنان ، لتعوض عليه ما خسره منذ طفولته حتى الآن . وخاصة . . . ان تعرف كيف تقنعه من البداية انها تريده وبحاجة ماسة اليه "

نوقف جيلبير لحظة وابتسم بانفعال هذه المرة . وشعرت سارة غريزيا انه يفكر بزوجته التي توفيت سنتين قبل ان تبدأ سارة العمل لديه . وكانت تعرف انهما كانا سعيدين للغاية .

" الرجل يجب ان يعرف ان الشخص الآخر بحاجة ماسة اليه . لا تنسي ذلك ، ياسارة ، عندما تتزوجين ، وسيأتي هذا اليوم عما قريب ، مهما كانت وجهة نظرك في الموضوع . من الضروري ان يشعر الرجل ان زوجته لا يمكنها ان تتخلى عنه . وامل ان يلتقي كارلوس يوما بامرأة كهذه ، لاني احببته كثيرًا "

سكت جيلبير ونظر حوله وكأنه نسي الموضوع الذي شغلهما خلال هذه الرحلة وسارة التي تعرف الكاتب جيدًا اخرجت دفترًا صغيرًا من حقيبة يدها فراح يملي عليها حتى وصلا الى فوني . اوقف جيلبير السيارة امام منزل الحارس الذي اقترح عليهما ان يكون دليلهما . وقام الثلاثة بدورة حول المدينة . ثم طلب

جيلبير من الحارس ان يتركهما بعدما شرح له انه يؤلف كتابًا وانه يرغب الآن ان يبقى وحده مع سكرتيرته .

هتفت سارة الواقفة على قمة هضبة تكتشف البحر الأزرق الغامق :

" يا له من مشهد رائع "

البحر يمتد حتى جبال آسيا الوسطى . وقممها تبدو براقة تحت الشمس . والى جنوب الهضبة ترتفع جبال ترودس وقممها البركانية . فسفوح الجبال ومنحدراتها كانت مكسوة باشجار الصنوبر . من هنا وهناك سيل ينبثق في داخل المضيق .

قالت الفتاة باندهاشة فرح :

" هذا جمال يقطع الانفاس ! "

لم يقل جيلبير شيئا بل راح يلتقط صورًا . جلست سارة على قطعة بناء عائد الى هيكل اثينا القديم وراحت تدون انطباعاتها الشخصية التي كان جيلبير يستعملها داخل كتابه .

كان يقول ان ما تكتبه يدخل تنويعًا جميلاً الى الكتاب . في البداية كانت خجولة ومتواضعة الا تريها لجيلبير ، لكن جاء يوم واصر عليها الكاتب ان يراها . ومنذ ذلك الوقت وهو يتكل على مساعدتها بشكل كامل .

وضع آلة التصوير في علبتها وابتسم ثم قال وهو يجلس قربها:

" انت لؤلؤة . قلت لك منذ قليل انك ستتزوجين في احد الايام . . . طبعا سأكون فرحًا ان اراك سعيدة ، لكن اعرف تمامًا انني لن اجد سكرتيرة مثلك . انت تفهمينني جيدًا يا سارة . انت لا تعملين عندي بل تعملين معي "

ابتسمت بفرح وقالت :

" هذا لاني احب ما افعله ، من دون شك . وانا ايضا اعتقد انني اعمل معك "

توقفت قليلا ثم اضافت بلهجة اعتذار :

" اخشى الا اكون قادرة على اعتبارك مديري بل صديقي الحميم . سأحزن كثيرا اذا قررت يومًا ما ان

تأمرني ، حتى ولو كان ذلك من اجل ان تذكرني بدورى وواجباتي "

ابتسم وهز رأسه وقال :

" لا تقلقي من هذه الناحية . انا حريص عليك وحدك . وتذكري دائما انني هنا عندما تكونين بحاجة الي . لا تحملي وحدك الحمل الثقيل لكن امل الا يحصل لك ان تحملي حملاً ثقيلاً طيلة حياتك "

نظرت الى البحر البعيد وجبال تركيا وراحت تحلم . . حبها لكارلوس ليس حملا تحمله منذ زمان بعيد . لم يكن يرهقها او يضنيها . لكن الآن بالعكس ، انها تشعر بكل ثقله ، لا تريد ان تفكر باليوم الذي ستغادر فيه الجزيرة وتبتعد عن كارلوس الذي شعرت

بقربها منه لأول مرة في حياتها . تعرف انها ستكون على السعة والترحاب متى شاءت ان تأتي الى منزل كارلوس . وكذلك هو فبامكانه ان يأتي الى الفيللا متى اراد . وعدة مرات جاء مع ريان ليأخذ الشاي مع جيلبير وسارة . واكتشف الرجلان ان لديهما اشياء كثيرة يتفقان عليها وخاصة حبهما للاسفار .

واينما دعي كارلوس ، ينتظر وجود اخته معه . فكانا يلتقيان في الاحتفالات . يرقصان مع بعضهما ويتبادلان الاحاديث الشيقة . ومرة او مرتين رفض جيلبير الدعوة ، فكان كارلوس يوصل سارة بسيارته الى الفيللا . وبعد وقت قصير اختفى التوتر بينهما . كانا يحبان بعضهما مثل اخ واخته ، وقررا الا يبتعدا

ابدًا . هذه العلاقة الاخوية اعجبت كارلوس وبالتالي كانت سارة مسرورة بذلك . تفكر بهذه الصداقة الحميمة ، وتتذكر كلمات جيلبير الذي قال مرة " لا احد اراد كارلوس حقًا "

وتذكرت بمرارة انها حاولت يائسة ان تقنعه بصدقها وكانت دائما تريده ان يعرف انها كانت تحبه محبة اخت لأخيها .

نهض جيلبير وراح يتمشى حالمًا بين الاثار داخل القصر . حملت سارة دفترها الصغير الذي وضعته على حجر من الرخام وتوجهت نحو الكاتب . وخلال نصف ساعة كان جيلبير يملي عليها وهي تكتب ، لكن ذهنها كان بعيدًا ومشغولاً بالحديث الذي جرى

حتى الآن عن كارلوس وابنته . واخيرًا اقتنعت بأن كارلوس لن يشفى من ميله للانكماش على الذات الا يوم يلتقي امرأة بحاجة ماسة اليه .

هل تنجح باقناعه بصورة تدريجية وباستمرار ، انها تحبه بشغف وانها غير قادرة ان تعيش من دونه ؟

رأته بعد اسبوعين لدى عودتهما من بافوس . مر كارلوس على الفيللا بعد ظهر يوم حار وكان عائدًا لتوه من نيقوسيا حيث قام ببعض الأعمال .

واخبر سارة بأن ريان بقيت هناك عند عائلة صديقة له . سألت سارة خائبة الامل عندما علمت بذهاب ابنة اخيها :

" هل ستبقى متغيبة مدة طويلة ؟ "

لم تنجح بعد في الاقتراب من الفتاة بشكل كاف ، لكنها كانت تفرح لرفقتها .

من جهة أخرى ، كلما ازدادت رؤيتها للفتاة وجدت حظًا كبيرًا لاستمالة محبتها . وبعد ذلك يصبح بامكانها ان تفتح موضوع الارث مع كارلوس وتقترح عليه ان تحول هذه الثروة الموروثة الى ريان .

اجاب كارلوس بعد جلس على مقعد قربها :

" ستبقى حوالي اسبوع هناك "

قدم له جيلبير علبة السكائر ، لكنه رفض قائلاً :

" اقفلت مدرستها في الوقت الحاضر ، بسبب تحسين المبنى وتزيينه . لا اعرف لماذا اختاروا هذه الفترة من

السنة لهذه الأعمال ما دامت العطلة الصيفية ستبدأ خلال شهرين . كان بامكانهم تأجيل أعمال البناء للصيف "

رفع عينه عندما اقترب منه جيلبير ليسأله ماذا يشرب . وكانت سارة تتأمله بينما كان جيلبير يسكب له كأسا منعشة . وراحت تتسأل مع من بقيت ريان ؟ مع امرأة من دون شك ! كانت على وشك ان تطرح عليه الاسئلة لكنها حبست كلماتها بين شفتيها . فليست قريبة من كارلوس لدرجة ان تطرح عليه اسئلة شخصية .

سأل كارلوس الكاتب كيف امضى اقامته في بافوس . فاجابه :

" اقامة رائعة ، لكننا عملنا كثيرًا . سنبقى هنا ثلاث اسابيع لكتابة ما دوناه من معلومات . لقد زرنا قصر فوني . انه رائع جدًا "

" القصر ليس قديمًا كما كنا نعتقد . يعود الى القرن السادس عشر وبني في العهد الذي كانت فيه الجزيرة منقسمة بين الذين يدعمون اليونانين والذين يدعمون الفرس . لكنك تعرف كل هذه الاشياء ، يا جيلبير "

" نعم قرأت كتب التاريخ ، لكنني اهتم كثيرا بسماع رجل قبرصي يكلمني "

ابتسم كارلوس وقال :

" لم امارس كوني قبرصيًا الا في المرحلة الاخيرة من حياتي ولذلك لا يمكنني ان اقول انني اعرف اشياء كثيرة عن قبرص "

" لكنك تعرف العادات والتقاليد والفولكلور والاعياد التقليدية في القرى . . . "

هز كارلوس رأسه وجرع جرعة من كأسه . وفجأة بدا وكأنه بعيد جدًا ، كأن الحديث لا يهمه . قطبت سارة حاجبيها . كارلوس ينكمش احيانًا على نفسه دون سبب واضح . بماذا يفكر ؟ شعرت بضرورة اعادته الى الواقع فقالت بسرعة :

" جيلبير مستعد دائما ان يطلب مساعدتك . انه يستعمل المعلومات المباشرة عندما يكون ذلك ممكننا "

تلألأت عينا كارلوس ، فأجاب :

" حسنا ، يا سارة "

ابتسمت له ونظرت اليه بعينين ناعمتين ، فكارلوس لا يبتسم عادة ، لكنه هذه المرة التفت اليها بابتسامة صادقة .

فقال جيلبير :

" شكرًا ، يا كارلوس . كنت آمل ان انال عونك . هل تبقى معنا للعشاء ؟ "

بعد لحظة تردد وافق على قبول الدعوة . ونظرت سارة اليه وتأكدت من انه فرح بصدق .

ولما نهض كارلوس ليودع سارة وجيلبير ، دعاهما الى العشاء في مساء اليوم التالي ، فقبلا دعوته شاكرين ، لكن في صباح اليوم التالي اصيب جيلبير بألم حاد في رأسه في اخر النهار ، فلم يكن قادرًا على الخروج فقال :

" ستذهبين وحدك ، يا سارة وتعتذرين عني لدى كارلوس ، اليس كذلك ؟ "

" نعم طبعا . . . لكني لا احب ان اتركك وحدك "

ابتسم لها وقال :

" يا ابنتي لست مضطرة الى العمل طيلة الوقت . اذا كنت تعملين في مكتب ما ، فلن تعملي ساعات عديدة كهذه "

" عندما يحب الانسان ما يفعله ، فلا يعتبره عملاً "

توقفت عن الكلام ولمحت بريق الحنان في عيني جيلبير فقالت :

" بامكاني ان اتصل هاتفيًا بكارلوس . . . "

قاطعها قائلاً :

" يجب ان تذهبي سأدخل الى فراشي بعد قليل ولا سبب في بقائك هنا . ستفرحان في ان تكونا وحيدين

لمرة واني اكيد ان لديكما امورًا كثيرة بحاجة للتوضيح فيما بينكما "

اقترح عليها ان تأخذ السيارة لكنها فضلت الذهاب مشيًا على الاقدام فمنزل كارلوس لا يبعد الا مسافة كيلو متر واحد عن الفيللا .

كان كارلوس في بزة مريحة وانيقة من الكتان الابيض ، تؤكد نحافته وقميصه الابيض يظهر بشرته الجافة .

قطب حاجبيه بقلق عندما شرحت له سارة سبب تغيب جيلبير .

" يقول ان الحر يزعجه احيانًا "

" عادة ، الحر ليس قويًا في ايار (مايو) . هل تعتقدين ان جيلبير بحاجة الى طبيب ؟ "

" لا اعتقد . انه يعاني احيانًا من آلام الرأس . لا شك ان ذلك عائد لتعب النظر ، لكن هذه الآلام سرعان ما تختفي بعد راحة ونوم هادىء "

اما سارة فكانت ترتدي فستانًا واسعًا ورقيقًا . وراح كارلوس ينظر اليها كأنه يلاحظ جمالها لأول مرة .

كانت عيناه تحدقان بشعرها القصير المجعد ، وكتفيها السمراويين ، وارتعش كأنه شعر بندم من اعماقه .

ازاحت سارة وجهها ، مضطربة ، يختلجها شعور عنيف .

لكن سرعان ما اختفى انزعاجها وابتسمت له بعفوية رائعة . رد عليها بابتسامة لطفت ملامح وجهه . فانتفض قلب سارة وادركت بخوف انها سلكت طريقا خطرة ، لكنها لم تعد قادرة ولا تريد ان ترجع الى الوراء ولمدة لحظة قصيرة تذكرت ان كارلوس يعتبرها شقيقته ، لكنها بدأت شيئًا فشيئًا تتخيل مستقبلاً رائعًا يتجاوز امالها المجنونة .

دعاها الى الجلوس وسكب لها كأسًا ، وشعرت بارتياح وهي ترد عن الاسئلة التي كان يطرحها كارلوس عن حياتها وعملها . وتجرأت ان تسأله بدورها . فعرفت انه غادر اليونان منذ سنوات قليلة وجاء الى قبرص ووجد عملاً في مكتب .

" مديري كان راضيا عن عملي . ومات فجأة تاركًا لي ارثًا ساعدني على الانطلاق . فاشتريت بستانًا للحمضيات قرب فاموغوستا . وبعد مرور زمن قصير شهدت المدينة امتدادًا سريعًا بسبب السياحة واصبح سعر الأرض مرتفعًا . كذلك عاودني الحظ فعقدت صفقة مع رجل يملك بساتين في مورفو . وقمنا بعقد تبادل . اراضيه كانت اوسع من اراضي ، لكنها اقل قيمة "

" قال لي جيلبير ان احدهم اقترح عليه شراء قطعة ارض على سفح التلة القريبة من الفيللا . وهو يفكر بشرائها وبناء منزل اذ بامكانه ان يتقاعد هنا ويقضي اخر سنوات حياته "

" انها فكرة رائعة . انصحه ان يشتري في الحال .

وسيكون له اجمل منظر في الجزيرة "

واكمل كارلوس قصصه الكثيرة وعلمت سارة انه

اشترى بساتين اخرى في فاموغوستا ومورفو .

وبعدها قرر ان يعلب عصير الفاكهة التي تنبت في

بساتينه . والآن يفكر في توسيع مصنعه الذي يقع في

ضواحي نيقوسيا .

" يجب ان تكون فخورًا بنجاحك ، اليس كذلك ؟ "

هز رأسه بصورة آلية وتناول كأسه . شعرت انه بدأ

يبتعد عنها . وتساءلت ما اذا كان يفكر بزوجته

الراحلة . فسألته :

" منذ متى تسكن هذه الفيللا ؟ "

" منذ سنتين . احتجت الى سنة لترميمها "

" اذن ، اليسون . . لم يتسن لها . . . "

لم تكن تنوي التحدث عن اليسون . انخفض صوتها حتى انطفأت الكلمات في حنجرتها . راحت تنظر في وجهه عن ردة فعل ، لكنه اكتفى بهز رأسه والاجابة بصوت حزين :

" لم تعرف اليسون الراحة التي يجلبها المال . عرفت كل الصعوبات من دون ان تنال أي مكافأة "

كان ينظر الى الشمس التي تغيب وراء الافق .

وراحت الوان السماء تميل من الأحمر ، الى الاصفر العنبري ، الى الذهبي . اطلقت سارة تنهيدة صغيرة .

فرفع حاجبه متسائلاً :

" اني . . . اني اشعر بحزن كبير "

تحاشت نظراته وحدقت بمحتوى كأسها . انحنى كارلوس الى الوراء على مقعده وبعد صمت طويل رفع عينيه وقال :

" كل هذا يعود الى الماضي "

جاء خادمه معلنًا ان العشاء جاهز ولم يتكلما بهذا الموضوع خلال السهرة كلها .

انتهى الفصل الرابع

5- يوم بطالة

ودخلا من الشرفة الى غرفة الطعام ذات السقف المرتفع والمضاء بنور الشموع الناعمة . الشمعدانات الفضية تزين وسط الطاولة والزهور العطرة تزيد سحرًا غريبًا على الديكور . ومن زواية الغرفة تنبثق موسيقى البوزوكي الناعمة من آلة الاسطوانات . الارض

www.riwaya.net مكتبة رواية

مفروشة بالسجاد العجمي والابسطة الجميلة تملأ الجدران . انه منزل رجل ذو ذوق رفيع . وغياب اللوحات والايقونات تؤكد انتماءه الى الشرق .

بدت لها حرارة الغرفة منعشة عندما دخلا اليها . فالتفتت اليها كارلوس ليسألها اذا كانت تشعر بالبرد لكنه اصطدم بها بعنف الى درجة انه مد يده غريزيا ليتمسك بها كأنه يخشى ان يراها تقع امامه .

" انا متأسف . . . "

انطفأ صوتها عندما رفعت عينيها البراقتين نحوه لتلفت انتباهه . . . وتكشف له عن سرها .

" سارة . . . "

همس باسمها في صوت ناعم كأنه نسيم يلاعب ورق الشجر الاخضر في ليلة عطرة . اخفض رأسه ولاحظت خيوطًا ذهبية على صدغيه واحست بلهاثه على خدها . اغمضت عينيها . كانت تعرف انه يرغب في عناقها .

وقال في لهجة مفاجأة كأنه يرميها بماء بارد :

" سارة . . . انا متأسف فعلا ، كدت ان تقعي بسببي "

انتفضت عندما فتحت عينيها ورأت على وجهه ملامح الذنب والندم .

ماذا يعني هذا ؟ ابتعد عنها لكنها ما تزال تشعر بيديه الدافئتين وصلابة جسمه الذي اقترب منها لحظة

قصيرة . ظلَّ ينظر اليها مندهشًا مذعورًا كأنه لم يفهم تصرفه .

" كنت على وشك ان اسألك اذا كنت تشعرين بالبرد . بامكاننا ان نشعل النار في المدفأة "

هزت رأسها بحزن ازاء شعورها بخيبة امل مرة :

" كلا ، ياكارلوس . لا اشعر بالبرد ابدًا "

حاولت الابتسام كأن شيئًا لم يكن لكنها لم تكن قادرة ان تطرد هذه الحادثة من رأسها . وانتهت بالتفكير والاقتناع الداخلي بأن كارلوس لم يكن ينوي عناقها كما ان تعبير وجهه الغريب ، أي تعبير الشعور بالذنب ، ثم اندهاشه وذعره ، لم يكن سوى خيال وهمي .

ولما تمكنت من ابعاد هذه الافكار عن رأسها ، شعرت باسترخاء مع كارلوس .

بعد العشاء ، تناولا القهوة على الشرفة . وكان حديثهما خفيفًا بل مثيرًا . الجو كان دافئًا وودياً . واذ لاحظ كارلوس توترها خلال العشاء ، تصرف بشكل طبيعي جدًا .

سألها قاطعا الصمت :

" هل حضرت عرسًا قرويًا ؟ "

" وجدنا دعوتين عندما عدنا الى الفيللا . ولا نعرف من يكون اصحابهما ؟ "

" اهل العروس والعريس يدعون الجميع . القبارصة شعب مضياف ولا يفكرون لحظة واحدة في ترك احد على حدة وخاصة انت وجيلبير "

" اخبرنا كوري عن الامر . وقال احيانًا هناك الف مدعو الى العرس "

" هذا صحيح . الجميع هنا اصدقاء ومقربون "

" عندما يكون للمرء عائلة كبيرة لايشعر ابدًا بالوحدة "

" فعلا "

عاش كارلوس طفولة وحيدة ، مرفوضًا من والديه ، يغار من شقيقته الى درجة انه رفض ان تكون له

صديقة . عرف هدنة لمدة اربع سنوات هي فترة زواجه وبعد وفاة زوجته عاد الى وحدته يعيشها مع طفلته الصغيرة . اربع سنوات خلال عمر يتجاوز الثلاثين لا تعني الشيء الكثير .

راحت سارة تفكر بوضعها . . . صحيح ان والديها بالتبني دللاها وافعماها بالهدايا لكنهما لم يعيشا الا لبعضهما وذلك حتى الموت .

وبعد وفاتهما ، عاشت سارة متوحدة . كانت تعيش وحدها في شقة صغيرة وتعمل في مكتب صغير . ولم يتغير نمط حياتها الا عندما بدأت تعمل لجيلبير .

ومنذ اليوم الاول بدأ الكاتب يهتم بها . وبسبب هذ الوضع لم تشعر سارة بالوحدة ابدًا . وبعد قضاء ثلاثة

اشهر في العمل لديه بدأت ترافقه في اسفاره الى الخارج . لم تكن تقاسمه فقط عمله ، بل حياته العصرية ايضًا . نصحها ان تترك شقتها ، فلماذا تدفع ايجار وهي دائما متغيبة عن لندن ؟ واقترح عليها السكن عنده عندما يعودان من اسفارهما . هكذا كان يعاملها معاملة الأب لابنته . وفكرت بأن حظها كان اقوى من كارلوس . فكانت محاطة بانسان طيب تستشيره في الوقات الصعبة . ومن جهة ثانية كان لكارلوس ابنة من دمه ولحمه . ومع ذلك فهو دائمًا وحيد وبالتالي لديه الوقت الكافي ليفكر بماضيه وبقدره الذي كان مختلفًا كليًا عن قدر اصدقائه .

وحيال هذه الافكار سيطرت عليها الرأفة ، وارتسم على وجهها بريق حنون . ووجدت بنظرات كارلوس التعبير نفسه الذي لاحظته من قبل ، انه ندم مرتبط بالحاضر وليس بالماضي كما كانت تتوقع .

غير انه فجأة غير تعبير وجهه وابتسم لها . ولاحظت الى أي درجة يجذبها . عليها اذن ان تكون متبصرة ، لكنها لم تكن قادرة ان تمتنع عن الابتسام له .

قالت بأسف بعد ان القت نظرة الى ساعة يدها :

" اعتقد ان الوقت قد حان كي اعود الى المنزل "

اجابها كارلوس وهو يقف في الحال :

" نعم . الوقت متأخر وسأوصلك "

" لا حاجة لذلك . هنا بامكان المرأة ان تتنزه وحدها بامان في الليل . هذه حسنات الجزيرة ، حيث الجرائم تعد على الاصابع ! "

" الجرائم تقريبا غير موجودة . اننا من دون شك الشعب الاكثر احترامًا للقانون "

ثم نظر اليها قائلا :

" هل احضرت سترة تضعيها على كتفيك ؟ فالليل بارد نسبيًا "

" لا . لا اشعر بالبرد "

" الحرارة منخفضة . سأجلب لك سترة من عندي وبامكانك ان تضعيها على كتفك "

ارادت الاحتجاج لكنه كان قد دخل الى المنزل وعاد بعد قليل حاملاً بيده السترة وقال آمرًا :

" استديري "

اطاعت فوضع السترة على كتفيها ، فارتعشت عندما التصقت يداه بها وذقنه بشعرها . ثم ادارها نحوه بهدوء وراح ينظر اليها مفصلاً قبل ان يقول بصوت حنون :

" اني سعيد اننا التقينا مؤخرًا ، يا سارة . ولا يجب ابدًا ان نبتعد عن بعضنا كليًا "

" لا ، يا كارلوس ، ابدًا "

كان يجب ان تفرح لكلماته ، لكنها شعرت بالانهيار من جديد لان صوته وعينيه لا تعبر الا عن محبة اخوية عميقة .

تأبط ذراعها وخرجا من المنزل . الممر كان محاطًا باشجار الخروب والاغصان تتلاقى ببعضها فوق رأسيهما . اجتازا الجسر الحجري حتى وصلا الى الساحة حيث المقاهي ، والانوار تلمع وراء الزجاج وعلى الشرفات والرجال يلعبون الورق .

قال كارلوس بمزاح :

" لم يصدقوا بعد ان لي شقيقة . اتسأل ما اذا كانوا يصدقون انك شقيقتي "

اجابت بسرعة :

" الم تحدث احد عني من قبل ؟ "

هز رأسه قائلا :

" كلا . لم افكر ابدًا اننا سنلتقي يومًا "

توقف ورمقها بنظرة اعتذار واضاف :

" كنت الومك لقلة حساسيتك الى درجة اني كنت اقول واردد انه حتى اذا التقينا ، سأرفض ان اتعرف عليك "

شد على ذراعها بلطف وقال :

" آسف لحكمي الخاطيء عليك . انا سعيد جدًا لاننا التقينا من جديد "

وبصمت استمرا في التنزه معًا على طول الطريق التي تصل بهما الى الفيللا . اجتازا بساتين الحامض المشهورة بها لابيتوس فالجميع هنا الفقير والغني ، يزرع الاشجار في ارضه . حتى الاجانب الذين تقاعدوا في الجزيرة يملكون اشجار الحامض في حدائقهم .

الاضواء تظهر من وراء النوافذ الخشبية للمنازل الصغيرة ، والجو عابق بعطر الحدائق . من بعيد ، على قمة تلة صغيرة ، ظهر شبح دابة نهيقها ثقب الصمت . لكنها توقفت اخيرًا وسمعا رنين الاجراس الصغيرة المعلقة في اعناق الماعز المنتشرة على القمم الخضراء .

هنا وهناك عائلة تثرثر على شرفة منزلها

والجميع ينظرون اليهما بابتسام :

" كالي نخيتا (ليلة سعيدة) ، ياكارلوس "

" كالي نيخيتا ، يا اندرياس "

" مساء الخير آنسة سارة . ستأتين مع السيد جيلبير الى عرس ابنتي ، اليس كذلك ؟ "

" طبعًا . وشكرًا جزيلا لدعوتك . كالي نيخيتا "

ضحك اندرياس ولمعت اسنانه البيضاء على وجهه الاسمر وسألها :

" هل تتكلمين اليونانية ؟ "

" كلا "

توقفا امام الباب الحديدي فنهض اندرياس من مقعده واقترب منهما .

اضافت سارة :

" اعرف كلمات قليلة ، لكن كل الناس تعرف ان تقول " ليلة سعيدة " باللغة اليونانية "

نظر الى السماء المليئة بالنجوم وقال :

" ليلة جميلة . هل تحبين قبرص ؟ "

" جدًا . جزيرتكم رائعة كليًا "

" في انكلترا ، المطر يتساقط باستمرار . ابني دخل الجامعة هناك . ويخبرنا انه يخاف من الغرق لكثرة ما تمطر "

ابتسمت وقالت :

" الطقس ليس سيئا كليا . احيانا لدينا ايام جميلة "

رفع كتفيه ورأت سارة وراءه زوجته وابنته . فصمتت .

من النادر ان تقاطع المرأة رب العائلة عندما يتكلم لكن زوجته قالت :

" في انكلترا الايام المشمسة نادرة . بينما الطقس جميل دائمًا . ولاتمطر قطرة واحدة من ايار(مايو) الى تشرين الاول (اكتوبر) "

" صحيح ، الطقس مختلف في انكلترا عما هو في قبرص . لكن الحر لا يطاق احيانًا في قبرص "

" اذن يجب ان تذهبي الى جبال ترودس "

قالت سارة بعد ان اكملا طريقهما :

" جيلبير يخصص شهري تموز (يوليو) وآب (اغسطس) لزيارة جبال ترودس . قيل له ان بامكانه استئجار منزل هناك بسعر زهيد للغاية "

" صحيح . القبارصة يتصرفون احيانًا بغرابة في ما يتعلق بالاعمال . مرة اقترح احدهم على احد اصدقائي ان يقيم في فيللا صغيرة لقاء مبلغ من المال . وكان بامكانه ان يبقى هناك الوقت الذي يريد "

" لكن يكون بامكانه اذن ان يبقى هناك بصورة نهائية "

" في هذه الحال اعتقد ان المؤجر سيطلب منه ان يدفع ايجارًا جديدًا

ضحك وتغيرت ملامح وجهه . تحب سارة ان تجعله يضحك في اغلب الاوقات .

وراحا يتسلقان ممرًا ضيقًا وصخريًا ، لا يمكن للسيارات والآليات ان تجتازه . انه "قادومية" للمتنزهين .

اشجار الخروب والزيتون والدلب تشكل قبة سميكة خضراء لا يمكن للنور والقمر ان يخترقها . وفي شبه الظلام كل شيء صامت لا يتحرك . ارتعشت سارة . انه منظر رومنطيقي .

اصابع كارلوس تضغط بقوة على ذراعها . وتهيأ لها انه يفرض على نفسه واجبًا قسريًا كأنه منشطر الى اتجاهين متعاكسين . انها فكرة غريبة لكنها لم تكن قادرة على

طردها من ذهنها . وظلت متيقظة وهي في فراشها مدة طويلة تفكر بأن كارلوس ربما يصارع ضد نفسه . وما هما هذان الاتجاهان المعاكسان اللذان يحطمانه ؟

وحتى الفجر ، لم تكن سارة قد وجدت الاجوبة على هذه الاسئلة . ربما كانت ضحية مخيلتها ، لكن هذا الحل لم تكن مقتنعة به . غير انها بعد ان تناولت فطور الصباح المؤلف من عصير البرتقال الطازج والخبز المحمص مع الزبدة والمربى ، شعرت بتوتر اقل واصبح بامكانها ان تكرس نهارها للعمل الذي تحبه .

سألها جيلبير عندما جلسا الى المائدة لتناول العشاء :

" هل تقبلين اكمال العمل بعد العشاء ؟ اريد ان انهي الفصل "

اجابت بحماس :

" طبعا ، وانا ايضًا احب انهاء الفصل "

ابتسم جيلبير واجاب ببساطة :

" شكرًا ، ياسارة "

ولما توقفا عن العمل في الساعة الحادية عشر والنصف ، اقترح عليها ان تأخذ يوم عطلة نهار الغد . فاحتجت للحال . لكنه هددها ضاحكًا انه اذا لم تطعه فيستعمل سلطته لاول مرة .

" وماذا سافعل بنهاري ؟ "

" لماذا لا تأخذين بعض الراحة والاسترخاء . اسبحي وتمددي تحت الشمس . هذا لن يضرك صدقيني "

وصل كارلوس في الوقت الذي كانت فيه سارة تستعد للصعود الى السيارة والتوجه نحو شاطىء البحر .

فشرح له جيلبير في ابتسامة :

" استحقت سارة ان تأخذ اليوم اجازة "

راح كارلوس يتفحص سارة وقدارتدت مئزرًا مفتوحًا مظهرًا عن بزة سباحة صفراء . ونسيت سارة كليًا وجود جيلبيروتهيأ لها انها وحيدة مع كارلوس . كانا ينظران الى بعضهما من دون كلام . اخيرًا قال كارلوس :

" انا ايضًا ارغب في السباحة ، هل بامكاني المجيء ؟ "

تلألأ وجه سارة واجابت بابتسامة عريضة :

" طبعا ، يا كارلوس . لست مصرة على الذهاب وحدي "

كان جيلبير يحدق بكارلوس ، ثم بحركة من رأسه استدار نحو سكرتيرته ونظر اليها باهتمام فلاحظ احمرار خديها والبريق السريع في عينيها . فقطب حاجبيه لحظة ثم ابتسم :

" يجب تناول الغداء معنا ، يا كارلوس ، بعد عودتكما الا اذا كنت مرتبطًا بعمل ما . . . "

" سأسر للامر . شكرًا جيلبير "

ثم قال موجها كلامه لسارة :

" يجب ان امر على البيت واجلب بزة السباحة "

بعد ساعة ، كانا يسبحان في شاطىء الكابولكو . من لابيتوس حضرا بالسيارة ولم يتكلما خلال الطريق . وبعد ان اوقف كارلوس السيارة ، تناول مناشف الحمام من المقعد الخلفي وقال :

" لم اكن اتوقع الخروج معك عندما ذهبت الى الفيللا صباح اليوم . جئت لادعوكما الى كوكتيل ساعقده في فندق الهيلتون في نيقوسيا نهار الجمعة المقبل "

هبطا من السيارة وتوجها نحو الشاطىء المهجور نسبيًا . وبعد مكوث نصف ساعة في الماء ، تمددا على الرمل ليجففا جسميهما الملوحين اسمرارًا . خلفهما تنتصب جبال كيرينيا ، وقممها المشرقة تبرز بوضوح تحت السماء الزرقاء .

" هل تحبين ان تشربي شيئًا ، يا سارة ؟ "

التفت سارة اليه ، فرأته يحدق بها بنظرة غريبة .

فشعرت للحال بالاحمرار يعلو خديها . وقبلت الاستسلام لانفعالاتها رغم وعيها الكامل للمخاطرة التي تتعرض لها ، لكنها لم تقوم باي جهد لتتحاشاها .

" احب ان اشرب كوب ليموناضة "

نهض كارلوس ثم سأل :

" تريدين ان تشربيه في المقهى او اجلبه لك هنا ؟ "

" لنذهب الى المقهى . سنكون في الظل هناك "

جلسا تحت العرائش وسألها كارلوس بعدما جلب خادم المقهى المشروبات المنعشة :

" الا تريدين شيئًا آخر ؟ الست جائعة ؟ "

هزت رأسها وقالت :

" كلا ، شكرًا . اذا اكلت الًن افقد قابليتي وقت الغداء "

وراحت تنظر الى البحر الازرق وتهمس قائلة :

" لا موجة ، لا تجعيدة . . . لم ار من قبل بحرًا هادئًا كهذا "

" البحر جميل . امضيت وقتًا طويلاً في اليونان . انه بلد احبه كثيرًا . لكن ما ان وصلت هنا حتى شعرت بضرورة الا ستقرار في قبرص . اشعر اني عدت الى وطني منذ اللحظة الاولى في هذه الجزيرة "

" لماذا اخترت لابيتوس بالذات ؟ "

" في البداية ، عشت في شقة صغيرة في نيقوسيا . ولما اكتشفت لابيتوس ، شعرت برغبة لأن اشتري فيها منزلا . وكان المنزل الاول صغيرًا جدًا ، أي مؤلف من غرفة في الطابق الارضي وغرفة في الطابق الاول "

" صحيح ؟ "

" انه منزل غريب . اعتقد انك كنت ستحبينه فهو مبني على قمة تلة . الغرفة في الطابق الارضي كانت تستعمل كدكان لبائع متجول ، اما الغرفة في الطابق الاول فكانت تخص خباز القرية . كان للمنزل مدخلان ، واحد تحت وثان فوق . اما انا فبنيت سلما متعرجا حتى لا نضطر ان نقوم بدورة كي نذهب الى

فراشنا ، كما كان يفعل المستأجر الاول الذي كان يعيش مع زوجته واولاده الثمانية "

" ثمانية اولاد ! اين كانوا ينامون كلهم ؟ "

بالفعل كانت سارة في هذه اللحظة بالذات تفكر باليسون التي عاشت مع كارلوس في هذا المنزل الذي يبدو جذابًا . اجابها كارلوس :

" كانوا يستعملون الغرفتين . لكن في الصيف كان من الممكن جدًا ان يناموا في الخارج . انا كنت معتادا في الصيف ان انام في الشرفة . . . "

توقف عن متابعة الكلام مدركًا بعد فوات الاوان ما قاله ، لكنه استعاد وعيه بسرعة وتابع يقول :

" كنت احب ان ارى الشمس تشرق وانظر الى النجوم في الليل . هل سبق ان نمت في الهواء الطلق يا سارة ؟ "

هزت رأسها شاردة ، اذ كانت تفكر باقوال جيلبير . هل كان كارلوس ينام في الهواء الطلق لأنه كان يشعر ان زوجته لم تكن تريده ؟ وربما شعرت اليسون هي ايضًا انه لا يريدها . ادركت بعد قليل ان كارلوس بانتظار جواب ، فاسرعت تقول :

" كلا . . . لكن لا بد ان ذلك كان رائعا . هنا الليالي دافئة وعطرة "

ثم اضافت بحزن :

" للاسف هناك مشكلة بالنسبة لي ، لاني لا اطيق لسع البعوض "

" هل تقلقك وتبعد عنك النوم ؟ "

" حتى الآن ، انا على ما يرام ، لكن بعد اسبوعين سيزداد عددها وانا دائمًا اعاني منها في البلدان الحارة "

" هذا لانك كنت دائمًا تعودين الى انكلترا . اذا بقيت هنا ، سيكون عندك مناعة ضدها "

" هل تعنى أن البعوض لن يلسعنى "

" بالطبع . البعوض لا يفتك بالمواطنين الاصليين ! "

" قال لي احدهم ان اهم نجاح حققه الانكليز في قبرص هو انهم انقذوا الجزيرة من البعوض ، لكنهم لم ينجحوا كليًا "

" لقد تغلبوا على البعوض الذي يحمل الملاريا "

هز كارلوس رأسه وقال :

" نعم . لم يعد هناك وجود لهذا النوع من البعوض كليا . البقية الباقية تزعج لكنها ليست خطرة ، فهي تشبه البعوض الذي يعيش في انكلترا "

" لكن عددها اكبر "

" ربما "

سكت لحظة ثم تابع يقول :

" اذا رأيت عددًا كبيرًا منها في حديقتك ، عليك اعلام المختار . سيرشها بمسحوق سام "

" صحيح ؟ هذا امر مهم . اذن بامكاننا الفتك بها اذا ما وجدت مكانًا تتكاثر فيه "

" نعم . بالضبط "

سألها كارلوس اذا كانت تريد شرابًا آخر . رفضت سارة ، وجلسا برهة يثرثران قبل ان ينزلا الى الماء مرة اخرى .

خرجت سارة من الماء قبل كارلوس وجلست وحدها ممددة على الرمل بينما كان كارلوس يسبح بعيدًا ، وتكاد لا تراه . ولما عاد لاحظت الاسترخاء في وجهه المشع .

ولاول مرة ادركت انه سعيد ، يحب الحياة . . .

فانتفض قلبها فرحًا .

قالت عندما قررا العودة الى الفيللا :

" انها بطالة رائعة "

" بالفعل . يتهيأ لي انني في عطلة "

" وانا ايضًا "

وللحظة لم تفكر بشيء . لكن من جديد ارادت ان تطرح عليه الاسئلة ، لكنها تماكت نفسها كي لا تسأله عن المرأة التي وضع عندها ريان . لو كان يريد ان يخبرها لفعل ذلك بنفسه . هذا الامر شديد الغرابة ، فلو انها صديقة حميمة لاخبرها عنها . لم تكن سارة

قادرة على التصور ان بامكان كارلوس ان تكون عنده صديقة حميمة ، يبدو ان كل رفاقه رجال . . .

" هل جف جسمك ؟ "

اعطاها المنشفة فاخذتها لتزيل الرمل عن ذراعيها وساقيها . ثم ناولها مئزر الحمام فارتدته بعدما ارتعشت لالتصاق يديه بكتفيها . كان قربها وشعرت برغبة الانضمام اليه كليًا .

قال بصوت ناعم وهادىء :

" احب لو كان بامكاني ان اقود سيارة جيلبير لكنني لا اجرؤ على سؤاله اذا كان يسمح لي بذلك "

ادارها نحوه وهو يتكلم . رفعت عينيها ونظرت الى وجهه الاسمر وتساءلت اذا كان يدرك حقيقة عواطفها او يسمع دقات قلبها السريعة . فارتعشت هي التي نجحت دائما في تمالك اعصابها ، لكن قوة هذا الرجل المغناطيسية سيطرت عليها . هذا الرجل الذي هو شقيقها بالتبني .

" لا اعتقد ان جيلبير يمانع . . . اذا كنت تفضل ان تقود بنفسك سيارته . . . اعرف ان الرجال يشعرون بأمان اذا كانوا يقودون السيارة "

احنت رأسها جانبًا بحركة رائعة وطفولية . فراحت شفتا كارلوس ترتجفان وقلبه يخفق بقوة . نظرت اليه وهي تبحث عن شيء كي تقوله لكي تقطع هذا الصمت

العميق المضطرب الذي كان يعم في هذه اللحظة .

لكن كارلوس هو الذي قال بصوت هادىء وناعم :

" حسنا . سأقود السيارة بنفسي "

اضاف يقول :

" هل يعجبك ان تتنزهي معى بعد ظهر اليوم ؟ بامكاننا ان نقود على طول الساحل بأتجاه كرباس ونتوقف في مكان ما لكي نحتسي القهوة ؟ هل تعتقدين ان جيلبير يستاء لهذا الامر ؟ "

" بل سيكون سعيدا حين يراني اغير الرتابة وآخذ هواء منعشًا "

انتهى الفصل الخامس

6- معًا على الطريق

بعد ان قطع كارلوس مسافة 40 كيلو مترًا على طول الساحل ، خفف من سرعته وسأل سارة اذا كانت تحب زيارة قرية اكانتو . هزت رأسها ايجابًا . لا يهمها ان تذهب بقدر ما يهمها ان تكون بقربه . اجتازا مناظر ذات جمال تمجد الخالق وتقطع النفس . التلال

المتموجة تحد سهلاً ساحليًا ضيقًا حيث تنمو الازهار الشائكة ، والقمح والشعير .

شرح كارلوس :

" لا يوجد طريق تجتاز قرب اكانتو . فجبل اوليمبوس الذي يرتفع شمالاً يشكل حاجزًا صعبًا "

كانت القرية فعلا غريبة وتملك سحرا غير اعتيادي .

اوقف كارلوس السيارة على جانب الطريق ثم نزلا معًا .

وفي البداية لم يلتقيا بأي كائن بشري . . .

فهمست الفتاة تقول :

" يا لهذا الهدوء . . . والسكون ! هذه القرية تسحر الالباب . . . آه ! ها اني ارى شخصًا ! "

ابتسم الرجل الغريب وقال باللغة الانكليزية :

" اهلا وسهلا الى قريتي . هل بامكاني ان اقدم المشروبات المنعشة ؟ "

كان الرجل اسمر البشرة ، قصيرًا وسمينًا ، ذا شعر اسود وعينين سوداوين كالفحم . اشار الى باب حديدي ودعاهم الى ساحة منزله .

اجاب كارلوس وسارة في الوقت نفسه :

" شكرًا جزيلاً ، نعم نحب ان نشرب شيئًا "

قال موجهًا حديثه الى سارة :

" امي تحضر الآن بوظة الرمان الحلو . . . هل سبق ان ذقته ، يا سيدة ؟ "

" نعم . احب هذا النوع من البوظة بشكل خاص "

سأل الرجل وهو ينظر الى كارلوس :

" هل انتما في عطلة ؟ "

انه يحاول معرفة السبب : لماذا هذا القبرصي يتنزه مع هذه الفتاة الانكليزية ؟ "

" هل انت زوجته ؟ "

اجاب كارلوس ضاحكًا :

" هذه المرأة هي اختي "

" اختك ؟ انكليزية وانت قبرصي "

اجابه كارلوس بأختصار :

" تماما "

لكن بعد فترة وجيزة شعر بالجرأة تجاه هذا الرجل الذي كان يشعر بفضول قوي .

فشرح له من دون حقد في صوته :

" تبنى والداي سارة "

كان يبدو فرح المزاج كأنه نسي ما حدث له في طفولته فاضاف :

" كان والداي يعيشان في انكلترا وكانا صديقين لوالد هذه الفتاة "

" هذا لطف منهما ان يربيانها "

وفي هذه الاثناء خرجت امرأة من حجرة معتمة وهي ترتدي الملابس السوداء . ابتسمت لهما ترحابًا

وهمست شيئًا باليونانية . فترجم كارلوس لسارة وهو يضع ذراعه حول كتفي سارة .

" مرة اخرى . . . تقول لنا اهلاً وسهلاً "

رافقها الى الكرسي فجلست سارة واستدار كارلوس نحو المرأة ليثرثر باليونانية معها . وبعد قليل قال لها ابنها كلمة فاختفت داخل المنزل ، فقال الرجل لسارة :

" امي لا تتكلم الانكليزية . ذهبت لتجلب لكما شيئا للشراب "

جلس قرب كارلوس وراح يتفحص الفتاة . ابتسمت داخليًا وفكرت بالوقت نفسه انه لم يسبق ان رأت

كارلوس يتأمل النساء هكذا . بل العكس يبدو وكأنه لا يبالي بهن .

سأل الرجل :

" هل تعيشان في قبرص ؟ "

واضاف في الحال انه يدعى غلافكوس ووالدته تدعى مارلولا .

اجاب كارلوس بأنه يعيش في الجزيرة بينما جاءت سارة الى هنا للعمل :

" مديرها يؤلف كتب الاسفار "

" هل سيكتب عن قبرص ؟ "

اجابت سارة مبتسمة :

" نعم . سنبقى هنا سنة تقريبًا "

" اذا كتب عن قريتنا فسيؤمها السياح "

احتجت قائلة :

" لكن ، لستم بحاجة الى السياح "

نظرت حولها : البساتين والتلال والبيوت المربعة البيضاء ومداخلها المزروعة زهورًا والنباتات المتسلقة .

. . لا ضجة ولا صوت . . . قرية تنتعش تحت الشمس اللاهبة ، النوافذ الخشبية مغلقة للحماية من الضوء القوي والحر القاسي .

" انها قرية هادئة ورائعة جدًا . السياح سيسيئون الى كل هذا السكون والروعة "

قطب غلافكوس حاجبيه ورفع كتفيه العريضتين وقال :

" لكنهم يجلبون المال وهذا ما ينقصنا هنا . انظري ، بيلابي مزدهرة لان السيد روريل كتب عنها . عدد كبير من الاجانب يقصدونها ، كما يعيش عدد لا بأس به من الانكليز فيها . وهذا يدر على القرية المال الكافي لتزدهر وتعمر "

قال كارلوس وهو يهز رأسه :

" لن تشبه الكانتو بيلابي ابدًا "

" صحيح . . . ليس عندنا كنيسة وهذا ما يحبه الاجانب "

سأل كارلوس سارة :

" هل زرت أي كنيسة هنا يا سارة ؟ "

" مرة زرت كنيسة برفقة جيلبير . لكننا لم نبق هناك سوى وقت قصير . اعتقد بأن المجال سيسمح لنا بزيارتها مرة ثانية "

" لدي اصدقاء يعيشون قرب كنيسة . . . فنان وزوجته . سآخذك لزيارتها يوما "

" يعيش هنا عدد لا بأس به من الفنانين . اليس كذلك ؟ "

" انه المكان المثالي لهم "

رفع عينيه عندما وصلت مارولا حاملة صينية المشروب وقال باليونانية :

" المعذرة لاننا عذبناك "

كان وجه مارولا يشع فرحًا . واجابت بأنها فرحة جدًا لاستقبال الزائرين .

سأل كارلوس وهو يقرب كرسيًا آخر :

" هل تنضمين الينا ؟ "

نظرت مارولا نحو ابنها ثم هزت رأسها ببطء وابتسمت مرة اخرى قبل ان تدخل المنزل . نظرت سارة الى كارلوس . نعم انه يشعر مثلها انه يجب على

غلافكوس ان يدعو والدته الى الجلوس واحتساء الشراب معهم .

راح الثلاثة يشربون ويثرثرون في الوقت نفسه . اخيراً اعلن كارلوس انه حان وقت العودة .

توقفا في قرية صغيرة في طريقهما ليحتسيا الشاي فجلسا في حديقة مقهى فارغ الا منهما . الحديقة مزروعة باشجار الحامض والبرتقال . وخلفهما بستان واسع محمي بصف من شجر السرو . امام المقهى يمتد الحقل حتى التلال ومن ثم تبدأ الجبال .

قال كارلوس :

" هل تعرفين اسطورة افروديت وكيف ولدت ؟ "

" اعرف ان بافوس هو المكان الذي ولدت فيه افروديت "

" لا ، ولدت افروديت من رغوة الموج . هناك قصة مختلفة حول ولادتها في الياذة هوميروس ، لكن الامر الاكثر شعريًا هو ان تلد من البحر "

" اعرف ايضًا انه كان لها عشيق يدعى ادونيس قتله خنزير بري . انه موت محزن . لكن الاساطير غالبًا ما تنتهي نهاية غير سعيدة "

" ادونيس لم يكن سوى واحد من عشاقها . فزوجها ايغاييستوس كان رمز النار عند اليونان "

ضحكت سارة وكانت تحب لو يكمل كارلوس قصصه حول الاساطير اليونانية ، لكنه نظر الى ساعة يده وقال ان الوقت قد حان ليعودا الى لابيتوس .

كان جيلبير يقرأ على الشرفة ما كتبه خلال النهار . ولما رآهما وضع اوراقه على الطاولة وسألهما مبتسمًا :

" هل قمتما بنزهة جميلة ؟ "

اجابت سارة بحرارة :

" كانت نزهة رائعة وموفقة . ذهبنا الى قرية اكانتو وفي طريق العودة توقفنا في مقهى صغير واحتسينا الشاي "

نظر اليها كارلوس بغرابة فاحمرت لادراكها الحماسة الزائدة لديها . ليس من الغريب اجتياز اربعين كيلومترًا

على طول الشاطىء والعودة بالطريقة نفسها .

اعتذرت سارة من الرجلين وصعدت الى غرفتها . ومن نافذتها المفتوحة راحت تتأمل السهل الضيق الذي يهبط حتى البحر .

ضمت يديها المرتجفتين وفكرت : هذا الجنون يجب ان ينتهي . . . لا يبدو كارلوس يشعر بشيء تجاهها غير العاطفة الاخوية . واليوم عندما شرح لغلافكوس مدى قرابته لها ، لم يتردد لحظة واحدة . نعم ، يجب عليها من الآن فصاعدًا ان تتحلى بالعقل ، والا ذاقت امر العذاب واضاعت فرصة العمر لأجل طويل .

" سارة ، كم انا مسرور لرؤيتك ! "

توجه لينوس نحو الفتاة بينما كانت تدخل الى قاعة الفندق حيث كانت تجري حفلة الكوكتيل التي اقامها كارلوس .

" كيف تمضين وقتك ؟ هل تعملين كثيرًا ؟ "

ابتسمت وهزت رأسها والتقت نظراتها بنظرات كارلوس ولشدة دهشتها لم يكن غير مبال ، لكنه كان قاسي اللمحات . ماذا يعني ذلك ؟ في المرة الاخيرة لم يكن مكترثا بلينوس وبحظه مع سارة . ولا لردة فعل الفتاة تجاه مقدمات وانجذاب القبرصي لها . لكنه اليوم يبدي فضولاً غريبًا .

ازاحت نظرها عن كارلوس لكنها ظلت تشعر به محدقا فيها واجابت آليًا :

" ذهبت مع جيلبير الى بافوس "

" آه ! جزيرة الحب . هل تأخذ هذه الجزيرة اهمية كبيرة في الكتاب ؟ "

" كلا ، جيلبير لا يميز أي منطقة معينة بل يفضل ايقاظ اهتمام القارىء كي يشعر برغبة في ان يزور كل اجزاء الجزيرة بنفسه "

احتج صارخًا :

" لكن فينوس تستحق فصلاً وحدها . هنا ، نعلق اهتمامًا كبيرًا على الحب ، وانت يا سارة ؟ "

ارتجفت رموش عينيها الطويلتين واجابت بحذر :

" لم يتسن لي الوقت ان افكر بذلك لانني اعيش حياة متكاملة "

ارجع رأسه الى الوراء وراح يقهقه ضاحكًا . فالتفت اليه عدد كبير من الاشخاص وراحوا يبتسمون .

لينوس الوسيم يغازل الفتاة الانكليزية وهذا موضوع شيق للمدعوين القبارصة ، الذين كانوا يأملون ان يميل قلبه لاحدى بناتهم او شقيقاتهم .

صرخ لينوس قائلاً :

" ليس عندك وقت للحب ! كيف باستطاعة فتاة بجمالك ان تقول هذا الكلام ؟ "

نظرت اليه نظرة فيه انذار واجابت :

" توصلت الى الاعتقاد انك رجل متملق"

ابتسمت لتعوض عن قساوة صوتها وأضافت :

" ومديحك يبدو لي سطحيًا "

" كلا ! "

امسك بذراعها ونظر الى مكان منعزل . فرأى شجرتين نخيل ووراءهما كرسيين ، فقال لها :

" تعالي معي . اريد ان ابرهن لك عن صدقي "

شعرت بتنفسه يلامس وجهها ، فرجعت الى الوراء محاولة التخلص من قبضته ، فقطب حاجبيه وهمس في اذنها :

" ارغب في الزواج منك ، ياسارة . منذ اللحظة الاولى اردتك ان تصبحي زوجتي . انا رجل غني ولن ارفض لك شيئًا . . . "

قاطعته قائلة :

" لينوس ، لست انوي الزواج ، لا منك ولا من غيرك . واريد ايضًا ان افهمك انك لا تعرفني جيدا وهذا خطر عليك ان تتزوج من امرأة مختلفة عما تتصوره "

هز رأسه بثقة :

" لا اتصور شيئًا واعرف من عينيك ان قلبك حنون وانك فتاة صادقة "

ابتسمت سارة وحولت نظرها برهة نحو كارلوس الذي كان يدير لها ظهره ويثرثر مع موظف شاب في السفارة الاميريكية .

" مادمت تعرف اني صادقة ، يجب عليك اذن ان تفهم لماذا ارفض الزواج منك . ليس لك قيمة عندي واضافة الى ذلك ، انا لا احبك . . . "

" بامكانك ان تتعلمي كيف تصلين الى حبي . سأكون استاذك . في الشرق ، الحب فن واعتقد ان المواهب لا تنقصني ، حتى لو لم اعد اهتم بالنساء منذ عدة سنوات "

ابتسمت سارة مجددًا . قررت ان تعامله بلهجة المزاح ، آملة الا تجرح شعوره وتؤلمه . عليها ان تفكر بسمعة

مديرها والا تتشاجر مع أي عضو في البيئة التي يعاشرها جيلبير .

اجابت ضاحكة :

" لا شك ان المواهب لا تنقصك فيما يخص فن الحب . . . لكن تنقصك عزة النفس "

رفع كتفيه وضحك بدوره وقال :

" ليس القبارصة برجال متواضعين ، خاصة عندما يتكلمون عن انتصاراتهم الغرامية "

ارتجفت رموش عيني سارة وبحثت بنظرها عن كارلوس ورأت بارتياح جيلبير يتقدم نحوهما :

" هل بامكاني الانضمام اليكما ؟ "

فهمت من نظرته الى لينوس انه جاء لينقذها .

واضاف يقول :

" امل الا اكون قد قطعت عليكما الحديث . . . السري ؟ "

زم القبرصي شفتيه وهز رأسه مبتسمًا . جلس الثلاثة ، وراح جيلبير يحدث لينوس بينما استرخت سارة في مقعدها ونظرت حولها بشرود فرأت الاضواء ، والكؤوس والجدران المزينة بالاشياء الفاخرة والسجاد الاحمر والزهور . . . انه اجتماع حيوي . بعض المجموعات الصغيرة ظلت واقفة . وبعض الاشخاص جلسوا على الطاولات الصغيرة بعضهم يضحك ويمزح والبعض الاخر يتكلم بجدية عن مواضيع هامة .

تلألأت عينا سارة عندما التفت كارلوس الى الوراء ولاحظها شاردة لا تعير انتباهًا للحديث الجاري بين لينوس وجيلبير . فتوجه نحوها ونظر اليها لحظة قبل ان يقرب كرسيًا ويجلس بجانبها . ولمحت في نظرته تعبيرًا حزينًا . فكلما واجه مشكلة جديدة يبدو متوترًا ومضطربًا . ابتسم ولاحظت انه يرغب في طرد القلق من عقله .

قال بصوت خفيض :

" اعتقد ان لينوس يهتم بك اكثر من قبل "

اجابت بلطف :

" لقد طلب يدي "

" . . . و . . . ماذا كان ردك ؟ "

نظرت الى وجهه وشاهدت الغصة في حلقه . يا له من رجل غريب . . لو كان بامكانها ان تقترب اكثر منه ، فما زال لغزًا بالنسبة اليها .

اجابت بسخرية :

" لقد رفضت "

تهيأ لها انها سمعت كارلوس يطلق زفرة ارتياح ، ام ان مخيلتها قد خانتها .

" كنت متأكدًا انه سيطلب يدك "

زمت عينا كارلوس عندما نظر الى لينوس المنسجم بالحديث مع جيلبير :

" قلت لك انه سيطلب يدك باقرب وقت ممكن "

" صحيح واجبتك ان عملي يكفيني "

" وقلت لك ان من الطبيعي على المرأة ان ترغب في ان تصبح امًا "

" لا تتزوج المرأة من اجل انجاب الاولاد "

اجاب بلهجة مرة :

" صحيح ؟ لكن احيانًا يكون الانجاب سببًا للزواج " كان بعيدًا عنها الآن ولم تكن قادرة . . . او لم تجرؤ على الاقتراب منه . كانت تسمع اصوات جيلبير ولينوس والحضور ، لكنها لم تكن تصغي الى احد ، لان سؤالاً يهدد ذهنها . . . هل تزوجت اليسون من

كارلوس بهدف انجاب الاطفال ، فقط لا غير ؟ نظر

كارلوس اليها ليتأكد من صدقها وسألها :

" انت ، هل تضعين الحب في البداية ؟ "

" بالنسبة لي ، الحب متعلق بالرغبة "

رد كارلوس بغرابة :

" الرغبة ؟ "

" هل انصدمت . اقصد ان الحب والرغبة مرتبطان

جدًا الى درجة انهما اصبحا غير منفصلين "

توقفت ثم اضافت :

" الرجل الذي سأحبه يكون ذلك الذي ارغبه . . . "

نظرت اليه سارة بعينيها الجميلتين المتوسلتين ، وقلبها يأمل أن يفهم ما تعني كلماتها . ثم اضافت :

" سأحبه ، ان كنت بحاجة اليه . وعندما اكون بحاجة اليه ، ذلك يعني اني ارغبه " .

ران صمت طويل ثم قال كارلوس بصوت متقطع :

" اذن الرجل الذي ستتزوجين منه سيشعر دائمًا . . . انك ترغبينه . . . "

كان كأنه يكلم نفسه ، غير انه ظل يحدق بها ، ثم اطلق زفرة طويلة حزينة . . . فاندهشت سارة وظلت تحدق به . تنفس عميقًا وازاح نظره عنها كأنه يرفض قبول ما يراه . اخيرًا قال بصوت اجش :

" آه ! سارة . لماذا ؟ . . . "

قاطعه جيلبير ليسأله سؤالاً لا قيمة له عن الحرفيين في الجزيرة .

" اخبرني لينوس عنهم وخطر لي ان اخصص لهم فصلاً في كتابي "

في ثقة واتزان اجاب كارلوس عن سؤال الكاتب .

وبعد قليل بدأ الحديث يتشعب وانضم اليهم عددا من المدعوين .

وفي نهاية السهرة وجدت سارة نفسها وحدها مع كارلوس فتبعا جيلبير حيث اوقف سيارته . لكن جلبير اعتذر وذهب يقول لكوني كلمة اخيرة .

فبدأت سارة الكلام قائلة :

" ماذا كنت تريد ان تقول لي عندما قاطعك جيلبير ؟

"

كان شارد الذهن ومستندًا الى السيارة ويده في جيب سترته . بدأ يفكر ثم اجاب مبتسمًا :

" لا شيء له اهمية "

فتح لها باب السيارة كي تصعد في المقعد الخلفي .

وبدوره جلس امام المقود . ثم ادار وجهه ونظر اليها وقال :

" سارة الشيء الذي كنت انوي قوله لا اهمية له "

لم تقل شيء ، لكنها شعرت بارهاق وحزن كبيرين ، نظرت الى ملامح وجهه القاسية والى فمه الحازم وذقنه البارز . كان بعيدا عنها بافكاره واقترب جيلبير من السيارة وصعد قرب كارلوس واعتذر لتأخره .

" لا سبب للاعتذار . هل تحدثتما بموضوع الكتاب "

" نعم . كان كوني يحدثني عن مدينة فاماغوستا القديمة . وتذكرت اني نسيت ان اطرح عليه سؤالاً معينا . يبدو انه على معرفة واسعة بتاريخ الجزيرة في القرون الوسطى " .

ابتعدت السيارة عن الفندق واخذت طريقًا تحيط بالجبال ، ثم هبطت على الساحل قبل ان تصعد من جديد نحو لابيتوس . كان القمر بدرًا يضيء المناظر

والقرى ، والبحر غامقًا وسريًا . على اليمين تمتد جبال كيرينيا الى ما لا نهاية ، اللضواء تلمع هنا وهناك . وقبب الكنائس البيضاء تبرز بوضوح تحت السماء الليلكية المليئة بالنجوم .

عندما وصلوا الى الفيللا توجه جيلبير الى الباب . ساعد كارلوس سارة على النزول وظل ممسكًا بيدها .

ثم همس بصوت حنون :

" تصبحين على خير "

حدق في عينيها المتوسلتين الشفافتين الصافيتين ، فاندهشت من تصرفه واضطربت كثيرًا . وتبين لها انه كان يرغب ان يفشي لها بسر مهم ، لكنه قرر ان يصمت في النهاية . لو يقبل ان يكلمها الآن لكنه

اكتفى بالقول بأنه سيكون حرًا نهار السبت وان بامكانه تمضية النهار برفقتها . وذهبت لتسأل جيلبير اذا كان سيحتاج لها في هذا النهار . لكن الكاتب كان قد سمع كلام كارلوس ، وفي الحال سمح لها ان تاخذ نهار السبت عطلة .

هتف جيلبير لكارلوس قائلاً :

" عندي اهم سكرتيرة في العالم . لو اسمع منها لوافقت على العمل سبعة ايام في الاسبوع "

قطب كارلوس حاجبيه . لا شك انه يفكر بأن سارة ليست بحاجة لان تعمل ما دامت قد حصلت على ارث محترم .

اجاب كارلوس قبل ان يصعد الى السيارة من جديد :

" سارة هي حقًا كنز ثمين "

ثم اضاف قائلاً :

" سأتي في التاسعة ، يوم السبت يا سارة . كوني جاهزة "

تدخل جيلبير في الحديث قائلاً :

" سارة تنهض من نومها في السادسة صباح كل يوم "

" مثلي انا . مستحيل ان ابقى في الفراش والشمس مشرقة "

" وانا كذلك استيقظ في مثل هذه الساعة ، اذا لم يكن في ساعة مبكرة ايضًا "

" تصبح على خير يا جيلبير . تصبحين على خير يا سارة "

ثم اقلع بسيارته وظلت سارة في الخارج تنظر الى اضواء السيارة حتى اختفت . وتوجهت الى المنزل حيث كان جيلبير ينتظرها على عتبة الباب محدقًا فيها بفضول .

انتهى الفصل السادس

7- العرس القروي

وصل كارلوس في الساعة التاسعة تمامًا . كانت سارة وجيلبير قد تناولا الافطار قبل ساعة ، جالسين على الشرفة المشمسة ، يتحدثان عن فاماغوستا وسلامين

حيث سيذهبان بعد حوالي اسبوعين . توقف جيلبير عن الكلام ليلاحظ ردة فعل سكرتيرته عندما سمعت عجلات سيارة على الطريق المليئة بالحصى والحجارة . ولاحظ ان عينيها لمعتا وشفتيها ارتجفتا بطريقة خفية .

تنهد جيلبير واستقبل كارلوس بحماس . وقالت سارة بصوت هادىء :

" صباح الخير ، يا كارلوس "

رفعت رأسها لترى الوجه الجميل المطل عليها . رمقها كارلوس بنظرة اعجاب ، وراح يتأمل فستانها القطني المعرق البسيط ويدها التي تعبث بنظارتين سميكتين .

سأل جيلبير وهو يقرب كرسيا ليجلس كارلوس عليه :

" اين تنويان الذهاب ؟ "

جلس كارلوس واجاب مبتسمًا :

" على سارة ان تقرر "

" كلا انت الذي يقرر يا كارلوس . انا لا اعرف الجزيرة معرفة كافية بعد "

" بامكاننا ان نذهب الى سلامين "

" سنذهب انا وجيلبير الى هناك عما قريب . . . عندما ننهي ما نفعله في الوقت الحاضر "

" في هذه الحال ، يجب البحث عن مكان اخر "

تدخل جيلبير في الحديث وقال :

" لا بأس بسلامين . لا شك ان كارلوس يعرف الكثير عن البلد ولا يهم ان زرتها مرتين . فالامر شديد الافادة "

" حسنًا . سافرح بالذهاب الى هناك بعد ان سمعت الكثيرون يتحدثون عنها "

قررا القيام بزيارة المدينة القديمة التي كانت احدى اهم المدن في قبرص . وخلال الطريق اخبرها كارلوس عن تاريخ سلامين وكانت هي تصغي اليه باهتمام وشغف . اخبرها ان الاسم ات من مدينة سلامين اليونانية . ملك الجزيرة هو الذي بنى المدينة الواقعة في الشاطىء الشرقي ، على بعد بضعة كيلومترات من فاماغوستا .

قالت سارة بعدما انهى رفيقها الحديث :

www.riwaya.net مكتبة رواية

" التاريخ مثير دائمًا "

كانا يتأملان القمح الخصب وسهل ميسابورا الذي كانا يجتازانه .

تابع كارلوس يقول :

" تاريخ هذه الجزر رائع للغاية . وقبرص ، مثل معظم الجزر اليونانية ، عرفت اجتياحات واحتلالات عديدة . لكن اليونانين هم الذين كان لهم التأثير الكبير عليهم . منحوا الجزيرة كل القصص الخرافية وكل الاساطير . فاليونانين هم الذين اكتشفوا ان افروديت ولدت في قبرص "

" ملكنا ريتشارد قلب الاسد حكم هنا خلال فترة قصيرة ، اليس كذلك ؟ "

هز كارلوس رأسه وشرح لها ان خليفة ريتشارد هو الذي اسس هذه القصور الصليبية المبنية على قمم الجبال .

" كنت ساقترح عليك ان تزوري واحدًا او اثنين من هذه القصور ، لكن سترينها في كل حال مع جيلبير "

" نعم ، ننوي زيارة كل الاماكن السياحية "

كانت ترغب في ان تزور الأماكن برفقة كارلوس ايضًا ، لكنها لم تقل شيئًا . ثم ذكرته بأنه وعدها بان يأخذها لزيارة اصدقاء له في بيلابي .

" لم انسى ، يا سارة . لكنهم في اليونان في الوقت الحاضر ولن يعودوا الا بعد اسبوعين "

ثم فتحت سارة الحديث حول ابنته ريان . فسألته عنها وكيف تمضي عمومًا عطلة الصيف الطويلة . فاجابها انه يصطحبها الى شاطىء البحر وانهم يسافرون احيانًا الى لبنان واليونان . فتخيلت سارة بحزن هذا الاب الذي يقوم بجهد ليسلي ابنته الوحيدة اليتيمة .

" اليس عندها صديقات او اصدقاء من عمرها ؟ "

" هناك عدد قليل يسكنون قرب منزلنا "

فوجئت بسكوت كارلوس المفاجىء كأنه يشعر بصعوبة اكمال الحديث . اخيرًا قال :

" ويوجد صبي صغير في المنزل الذي تعيش فيه فى الوقت الحاضر . . . وتتفق معه كليًا "

ولما وصلا الى سلامين ، اوقف السيارة الى جانب الطريق ثم راحا يأكلان السندويشات والفاكهة التي اشترياها بطريقهما .

قالت سارة وهي تسند ظهرها على المقعد :

" هذا الطعام شهي ولذيذ "

جمع كارلوس الفناجين والصحون المصنوعة من الورق ورماها في برميل القمامة . بينما كانت سارة تنظر الى امرأة ورجل خرجا من سيارة اصطفت قرب سيارة كارلوس . امسك الرجل يد المرأة وتوجها نحو المنظر الجميل . فوجئت انها تحسدهما ، هي التي كانت تعتقد دائمًا ان عملها يكفيها . وعاد كارلوس وتلألأت عينا سارة . اقترب منها بخطى واسعة . هل يعرف ان هيئته

رفيعة ومهيبة ؟ ظل مدة طويلة واقفًا امامها ينظر اليها ولدهشتها ، امسك يدها بحركة امتلاكية جعلتها ترتعش . ثم امسك بذراعها وحذا حذو الزوجين الشابين الذين كانا يمشيان امامهما .

كان يومًا مثاليًا للغزل . تمشيا بين مدينة سلامين ، المدينة التي كانت في قديم الزمان مزدهرة ، وقد بناها احد ابطال حروب طروادة . لكن للاسف دمرتها الهزة الأرضية . اما الاعمدة الرخامية والحمامات وبقية الآثار فتعود الى عهد الرومان .

قال كارلوس بعد صمت طويل :

" هذا هو الملعب ، ربما ادركت ذلك "

" لا ، لكنه جميل جدا ، كيف كانت المدينة في الماضي ؟ "

" من الصعب تصورها . لا شك ان المدينة كانت مليئة بالمنازل الفاخرة والمخازن والدكاكين والمسارح والهياكل والمعابد . اما الديكور الاساسي فهو المرفأ والبحر "

" انه لشيء محزن . . . "

ثم اضافت بلهجة احتقار للذات :

" انا عاطفية من دون معنى . ما حدث في الماضي قد مضى ، كما يقول جيلبير ولا يمكننا ان نعيش الحياة من جديد " .

ردد في لهجة حالمة :

" ما حدث في الماضي قد مضى "

كان شاردًا في ذكرياته . فقالت بصوت متوسلة :

" كارلوس ، أرجوك ،لا تفكر مطولاً في الماضي .

طفولتي لم تكن اسعد من طفولتك ، مهما فكرت

بالأمر . كنت افضل محبة وعاطفة . . . اخي . . .

بدلاً من الجاه والمال ! كنت بحاجة اليك ، يا كارلوس

، لكنك لم تلاحظ ذلك " .

كانا واقفين قرب بعضهما على مدخل الملعب .

امامهما تبرز اعمدة الرخام العالية وتاجها الكورينثي .

فرددت آملة ان يصدقها :

" كنت بحاجة اليك "

التفت نحوها ببطء وسألها بصوت مبحوح من شدة الانفعال :

" هل كنت حقًا بحاجة الى اخ ؟ " .

اخفضت عينيها وقالت هامسة :

" نعم يا كارلوس . في الايام الماضية كنت اريد ان اكون قريبة منك ، كما تكون الاخت قريبة من اخيها . ولما كبرت بالسن ، حاولت ان افهمك الى أي درجة وضعنا هذا كان يؤلمني . . . "

قال بلهجة قاسية فجأة :

" يؤلمك ؟ كنت تشفقين علي ؟ "

" كارلوس لا تسيء الظن . عندما اقول لك اني كنت بحاجة اليك ، اتكلم بصدق واخلاص "

ابتسم من طرف شفتيه . فما زال يشعر بالاضطراب حيال امر ما يحيره . لو بامكانه فقط ان يفشي لها بسره الذي يعذبه !

" آسف ، يا عزيزتي . . . "

توقف عن الكلام عندما تقدمت مجموعة من الاميركين وقفت قربهم لتتأمل المنظر لكنها سرعان ما ابتعدت وراء الدليل وآلات التصوير .

تابع كارلوس يقول :

" لا شك انك تعتبريني شديد الحساسية ، اليس كذلك ؟ "

" افهم ما تشعر به "

وضعت يدها بذراعه في خجل وقالت :

" لندع الماضي جانبًا . طفولتنا لم يعد لها اهمية اليوم . وما يهم هو الحاضر والمستقبل "

سيتوصل يومًا الى ادراك ما يدور في قلبها وعقلها وكيانها . واذا وافق على انها بحاجة اليه ربما يبدأ بالنظر اليها بمنظار جديد .

اخيرًا قال :

" انت على حق "

ومن دون انتظار او توقع ، امسك يدها وضغط عليها بحنان . بدا اقل قلقًا كأنه اتخذ لنفسه قرارًا مفاجئًا هدأ من روعة قلقه . ارتبكت سارة واصابتها الحيرة . لكن ، يده بيدها ونظرته الناعمة الحنونة جعلتها تنسى كل الباقي واستسلمت للسعادة المنغمسة فيها . تلألأت عيناها وارتجفت شفتاها وعرفت ان تصرفها سيؤثر بكارلوس . . . وتأكدت انه بدأ يعرف ما هي حقيقة عواطفها تجاهه .

ظل ممسكًا بيدها طوال الوقت بينما يتمشيان بين الآثار .

ثم سألها بحنان وتسامح :

" هل اعجبك المكان ؟ "

" كثيرًا . لا اتذكر اني كنت سعيدة في حياتي اكثر مما انا عليه الآن "

" انا كذلك "

وتذكرت سارة ما قاله جيلبير لها ، ان هناك شيئًا مهمًا لم يعرفه كارلوس في زواجه .

طريق العودة كانت هادئة . الاثنان منغمسان في افكارهما الخاصة . لكن سارة كانت ترمقه من وقت الى آخر بنظرة جانبية محاولة أن تميز تعبير وجهه . وبماذا يفكر ، يا ترى ؟

عندما جاءت سارة لتزور كارلوس في المرة الثانية وجدت ريان معه فاستقبلتها الفتاة بدهشة وابتسمت لرؤيتها بحنان كبير .

" عمتي سارة ، انا سعيدة لرؤيتك ، قال لي ابي اننا سنذهب معًا الى البحر! "

" صحيح ؟ "

امسكت الفتاة الصغيرة يد عمتها فشعرت سارة بدفء في قلبها . توجها معًا الى الشرفة حيث كان كارلوس جالسًا يتفقد اوراقه وبدأ يجمعها فابتسمت له سارة ورأت حينئذ تجعيدة حزينة وقاسية على فمه . غير انه رد عليها بابتسامة لطيفة ورأى يد ابنته تضغط بقوة على يد سارة .

" قالت لي ريان اننا سنذهب جميعًا الى البحر "

" اذا كنت توافقين على ذلك . فكرت بأن ذلك يفرح الصغيرة لأنها تحب السباحة كثيرًا ومضى عليها اسبوع

بكامله من دون ان تمارسها . بامكاننا ان نبقى هنا ونسبح في بركة السباحة ، لكن اقترح ان نذهب الى البحر ما دام الجو جميلاً "

" هذا يسرني ايضًا . لكنني لم اجلب بزة السباحة . لذا يجب ان امر بالفيللا "

لم يكن على الشاطىء الا القليل من الناس لكن مع مرور الوقت بدأ السياح يتوافدون حاملين الشماسي الملونة . اعتمرت ريان قبعة السباحة كي لا تتلف شعرها ، بينما سبحت سارة عارية الرأس . ولما جلس الجميع على الرمال ، لمست الفتاة شعر سارة المبلل بخجل وسألتها :

" هل تجدين متعة عندما تسبحين عارية الرأس ؟ "

" انها متعة رائعة . يا ريان "

نظرت سارة الى كارلوس الذي كان ممددًا ومكتف اليدين وراء رأسه . فسألته :

" هل بامكان ريان ان تسبح من دون ان تضع قبعة السباحة ؟ "

" لكنها بذلك ستفسد شعرها "

" سأساعدها على غسله عندما نعود الى المنزل "

قطب حاجبيه وقال :

" حسنًا ، ما دمتما متآمرتين عليَّ "

شعرت سارة بأنها نجحت في تحقيق الخطوة الأولى نحو النصر . وهذا ما تم بالفعل . بسرعة غريبة اصبحت

ريان الفتاة الصغيرة التي يجب ان تكون . تضحك في اغلب الاحيان ، وتجلس بارتياح على الكرسي من دون ان تخاف على فستانها . تضيع الشرائط وتلعب بالغميضة وراء الاشجار وترتطم بالحجارة وتجرح قدميها او يديها . وفي آخر النهار ، يصبح فستانها ووجهها بلون واحد ، لكن مزاجها يشرق فرحًا . في بادىء الأمر لم تعجب مربيتها بالأمر ، لكن سارة ربحت المعركة بمرونتها ولطفها .

وبدا الجميع اكثر فرحًا وحرية حتى كارلوس نفسه فقد ظهر الاسترخاء عليه . كان يقيم حفلات العشاء ويدعو اليها سارة وجيلبير وغيرهما من الاصدقاء .

كما كان يزور جيلبير ليعطيه بعض المعلومات عن العادات والتقاليد الشائعة في الجزيرة وعن الاعياد والحياة الزراعية التي يعيشها القبارصة . كما حضروا معًا عدة أعراس قروية . ودعوا مرة الى قضاء ثلاث ايام في احدى القرى ليحضروا عرسًا قرويًا .

في اليوم الأول كان الجميع منهمكين في تحضير حفل العرس بذبح الدجاج والأغنام وتحضير الفطائر والخضر والسلطات لما يقرب الف مدعو .

هتفت سارة :

" انظروا الى هذا الخروف المسكين "

هرب الخروف من يد الجزار وراح يركض في الساحة بهلع فلحق به رجل حاملاً سكينًا كبيرة .

" يا لهذا المنظر المقيت "

ازاحت نظرها كي لا ترى شيئًا ، لكن الآخرين كانوا يفرحون برؤية هذا المنظر ولما توصل الجزار الى القبض على الخروف قتله في الحال . اما الرجل المختص بقتل الدجاج فكان يعلقها على عصا طويلة . وكلما نزل فروج يقطع له رأسه بالتتالي .

صرخت ريان مستغربة :

" ابي انظر الى هذا الماعز الصغير اليس جميلا بفروه الأبيض "

" نعم "

لكنه كان ينظر الى سارة الحزينة . فهي لا تعرف ان عليهم ان يقتلوا هذه الماشية من اجل اطعام المدعوين .

الجميع يغنون ويضحكون . المضيفات يعلقن الشرائط والزينة على سرير العرس ويضحكن . وفي اليوم التالي كان الجو اشبه كرنفالاً يعم القرية كلها . الجميع يرقصون على موسيقى البوزوكي ويضحكون ويثرثرون بطيبة . في الصباح جاء قس ذو لحية طويلة ليحلق ذقن العريس . واصدقاء العريس المقربون حضروا هذا المشهد . وخلال هذا الوقت راحت المضيفات يزين العروس باحلى زينة . والد العروس احضر الى المنزل الفراش الخاص بالزوجين ، بعد ان حمله على كتفه

وكان من جهاز العروس مع الفضيات ومئات الهدايا ، كلها معروضة امام المدعوين داخل المنزل .

الموكب توجه اخيرًا الى الكنيسة البيضاء المنتصبة في آخر الشارع الرئيسي . كانت العروس تحمل باقة من الزهور ومضيفات الشرف يحملن بايديهن الشموع الكبيرة المضاءة والمزينة بالشرائط العريضة .

جيلبير وسارة كانا يدونان المعلومات بصورة مستمرة . فالكاتب وجد هذا الحفل مسليًا فالناس يضحون ويثرثرون ومعظمهم لا يصغون الى أي كلمة .

الأهل والمدعوين لا ينزعجون من مقاطعة القس طالبين ان يسمح لهم بأخذ الصور . يتوقف القس لحظة يرمقهم بابتسامة عطوف ويعطيهم الضوء

الأخضر . وفي آخر الحفل ، يوقع كل من المدعوين اسماءهم على الشريط الطويل ليحتفظ به العروسان مدى الحياة .

والوليمة تستمر ساعات طويلة مع الرقص والغناء . والعروسان يوزعان الحلوى على كل المدعوين ثم يرقصان . وخلال الرقصة يأتي كل واحد ليشكل ورقة نقدية على ملابسهما . وفي اخر الرقصة ، تكون بزاتهم مغلفة بالاوراق النقدية .

قال جيلبير :

" اني اراهن بان العروسين ربحا اكثر من الف ليرة . الذي جاء بهذه الفكرة لا شك انه رجل ذكي للغاية "

قالت ريان :

" انا ، لا احب ان يشكل المدعوين الاوراق النقدية على فستاني الأبيض الجميل . وانت ، يا عمتي سارة ؟ "

ابتسمت الفتاة الصغيرة وضغطت بقوة على يد عمتها . فامتلأ قلب سارة بالحنان وعرفان الجميل .

" الدبابيس تفسده ، اليس كذلك ؟ "

" نعم ، طبعًا "

" العروس تحب المحافظة على ثوب عرسها الى الأبد ، اليس كذلك ؟ "

" طبعًا "

قامت سارة بجهد كبير كي لا تنظر الى كارلوس . تود من قلبها ان ترى تعبير وجهه ، لكنها لا تريد ان تفضح نفسها .

ظلت ريان تتابع الحديث معها من دون أي تعب . واخيرًا هدأت . وفي الليلتين الفائتتين نامت مع سارة في منزل صغير يملكه اهل العروس . لكن حان وقت العودة .

ولما وصل الجميع الى منزل كارلوس قال الأخير :

" لماذا لا تدخلان لحظة . ربما تودان تناول العشاء "

صرخ جيلبير قائلاً :

" يا الهي ! لا ! انا لن اتعشى الليلة "

ثم نظر الى سارة وقال :

" لكن ، ربما انت ، يا سارة ، جائعة "

هزت رأسها وقالت :

" اكلت لمدة اسبوع على الأقل "

" في هذه الحال سنتناول شيئا آخر في آخر السهرة "

سألت ريان والدها :

" هل بامكان عمتي سارة ان تضعني في فراشي هذا المساء ؟ فسأفرح لأنها تقرأ لي القصص الجميلة "

" اذا كان ذلك لا يزعج سارة ؟ "

" ابدًا بالعكس ، هذا يفرحني "

ابتسمت بحنان للفتاة وقالت :

تعالي ، يا ملاكي . ستأخذين حمامًا ثم سأقرأ لك قصة عندما ستذهبين الى الفراش ".

انتهى الفصل السابع

8– اعترافان ومفاجأة

امضى جيلبير وسارة عشرة ايام في فاماغوستا . راحا يتنقلان في ارجاء المنطقة باحثين عن عناصر مهمة للكتاب .

قال جيلبير يوم كانا جالسين يحتسيان الليموناضة في ساحة المدينة القديمة :

" هناك امور كثيرة يجب كتابتها . لكننا سنضطر الى حذف بعض المقاطع كي لا يصبح الكتاب طويلاً جدًا . . . "

تقدم منهما صاحب المقهى ليسألهما اذا كانا يريدان مزيدًا من الشراب. ثم اضاف :

" سيكون ذلك على حسابي "

قال جيلبير :

" طبعًا لا . لكني سأشرب كأسا آخر وانت ، يا سارة ؟ "

هزت رأسها ايجابًا . ورفض الرجل اخذ ثمن الشراب .

فتعجب الكاتب وسكرتيرته ونظرا الى بعضهما

مندهشين . القبارصة اليونانين والاتراك ، اشخاص

مضيافون .

وقال جيلبير وهما يغادران المقهى :

" شكرًا جزيلاً "

" هل ستعودان الى فاماغوستا ؟ "

" اذا اضطررنا لذلك "

تساءلت سارة اذا كان جيلبير سينفذ نصائح كارلوس

ويقرر قضاء ايام تقاعده في قبرص . فهي لا تصدق

بأنه سيتقاعد يوما ، ولكن بامكانه ان يغادر انكلترا ويستقر نهائيًا في الجزيرة .

توجه جيلبير وسارة الى الكاتدرائية الكبيرة التي بنيت على طراز الهندسة الغوطية في عهد الملك لوزينيان .

وذكر جيلبير سكرتيرته بان الملوك القبارصة كانوا يتوجون اولاً في العاصمة نيقوسيا ، ثم يمشون الى في تظاهرة كبيرة تبدأ من العاصمة حتى المدينة حيث يتم تتويجهم هناك لكن تحولت الكاتدرائية الى جامع عندما انتصر الاتراك على ابناء البندقية . وبقيت جامعًا لأن في فاماغوستا يعيش القبارصة الاتراك فقط . من الجهة الثانية للساحة قصر بندقي رائع لم يبق منه الا واجهته

وقبب ثلاث تتمركز على عواميد من القرميد ، اخذت من هيكل سلامين .

قالت سارة التي كانت تدون ما كان يمليه عليها جيلبير :

" انها مدينة محض شرقية . المئذنة الاسلامية وبائعو البقول في الشوارع . . . "

اشتغلا بقية النهار من دون توقف ، وفي المساء كانا متعبين لكنهما مسروران من نهارهما . فتوجها الى المقهى لتناول طعام العشاء .

وفي اليوم التالي ، آخر يوم في فاماغوستا ، قاما بزيارة الكنائس برفقة مدير الآثار التاريخية الذي عرض خدماته عليهما واخذهما حيثما ارادا . اخيرًا توجها الى

www.riwaya.net مكتبة رواية

برج اوتيللو واخذا صورًا عديدة لجدرانه القوية العارمة

.

قال جيلبير عندما خرجا من المدينة :

" آمل ان اكون قد اخذت كل ما هناك من معلومات حول المدينة "

حياهما ضابط تركي مبتسمًا ، فأطلقت سارة زفرة امتنان وقالت :

" الحياة هادئة وممتعة على هذه الجزيرة . ساحزن عندما يحين الوقت للرحيل "

لم يرد جيلبير على تعليقاتها ، لكنها شعرت انه يفكر بما قالته فأضافت تقول :

" هل تفهم ما اقصده ؟ "

" تقصدين ما يجذبك الى هذه الجزيرة ؟ اعتقد ان ضيافة السكان وصدقهم وحرارتهم ، هي اول ما يجذبك هنا . لكن هناك الجزيرة التي انعم عليها الخالق بالطبيعة والطقس الجيد والمزروعات الفريدة والشواطىء الرائعة والاماكن الأثرية الفاتنة . هناك البحر . والجبل . اعتقد ان جبال ترودس ساحرة ! "

" هذا ما سمعته ايضًا "

ثم سكتت وراحت تفكر بكارلوس وبتصرفه الغريب . لا شك ان مشكلة عويصة تشغل باله . بدا في مرحلة ما انه حل هذه المشكلة ، لكنه يبدو الآن من جديد مضطربًا للغاية . تنفست سارة الصعداء وتساءلت ما

اذا كانت امانيها كلها ستضمحل ، قاطع جيلبير فجأة حبل افكارها وراح يحدثها عن عمله . ولما وصلا الى الفيللا ، وجدا عددًا لا يستهان به من الدعوات .

قال جيلبير عندما جلسا على الشرفة بانتظار العشاء :

" امامنا سهرات ممتعة "

بدأت تقول :

" بامكاننا ان نرفض بعضًا منها "

هز رأسه وقال :

" لن يكون الأمر سهلاً ان نقبل بعضها ونرفض البعض الآخر . يجب الاستسلام لقضاء حياة عصرية

، يا عزيزتي . وربما حان لنا الوقت لندعو الجميع الى حفلة في الفيللا ، فما رأيك ؟ "

هزت رأسها واستلمت رسالة وجهت اليها شخصيًا . فتحتها . انها من كولن . ابتسمت وقالت :

" آه ! هذا لطف منه ! "

رفع جيلبير حاجبيه متسائلاً وشرحت له سارة ان ابن اخيه سيصل الى هنا في الاسبوع المقبل ليمضي عطلة اسبوعين في قبرص .

" يأمل الا نكون في منطقة اخرى لدى وصوله . واكد لنا ان بامكانه تغيير وقت اقامته اذا كانت الظروف تتطلب ذلك "

هز جيلبير رأسه ورمق سكرتيرته بنظرة غريبة وقال :

" انت وكولن كنتما دائما صديقين عزيزين ، اليس كذلك ؟ "

" نعم . منذ اليوم الذي عرفتني عليه هناك امور كثيرة مشتركة بيننا "

كانت سعيدة لرؤيته من جديد ، لتعرفه على كارلوس وريان فكولن يحب الأولاد . وتساءلت مرارًا لماذا لم يتزوج حتى الان . لو سألته لرد عليها بفعل المزاح والمناكدة: " ان اتزوج ، انا ؟ لكنني انتظر ان تقرري الزواج مني "

ردد جيلبير حالمًا :

" امور عديدة مشتركة بينكما . امور عديدة . . . ولا شيء اكثر "

ابتسمت وقالت :

" لكن هذا لا يكفي لنخوض معركة الزواج "

" آه ! لوتعرفين كم كنت اتمنى هذا "

قطب حاجبيه واضاف :

" ولكنني ، لست متأكدًا من ذلك . غير انني احب رؤية كولن متزوجًا وابًا . العزوبية لا تليق به "

رمق سكرتيرته بنظرة غريبة اخرى وقال :

" كارلوس . . . انت . . . ؟ "

توقف فجأة وللمرة الاولى منذ تعرفت اليه ، تشعر سارة ان الكاتب شعر بانزعاج لانه تطرق الى هذا الموضوع .

ترددت لحظة قبل ان تبوح له بصوت منخفض :

" احبه ، يا جيلبير "

تناول جيلبير كأسه وترك نظره يحدق بتلة الرسائل امامه . وبحركة شاردة رماها جانبًا وقال اخيرًا :

" وهو ؟ كيف يتصرف معك ؟ "

لم يسألها ماذا يشعر كارلوس تجاهها ، كأنه عرف ان كارلوس لم يعبر لها عن حقيقة عواطفه تجاهها .

فتجاهلت السؤال وقالت :

" هل فوجئت باعترافي ؟ "

" كلا . كنت اشك بذلك منذ وقت بعيد "

عضت على شفتيها وقالت :

" ساشعر بالحمق اذا عرفت ان كارلوس لا يحبني . لم اكن متأكدة تماما ان عاطفتي كانت بديهية وجلية "

" انها هكذا تمامًا ، بالنسبة الي فقط ، ذلك لانني اعرفك جيدًا "

كانت ملامح جيلبير ناعمة وقلقة في آن واحد فقال :

" امل بكل صدق ان يكون كارلوس يحبك هو ايضًا "

اخفض عينيه نحو كأسه ثم ظل منغمسًا في حبل افكاره . اخيرًا اخذ قرارًا وقال لها ان كارلوس رجل غريب ولا

يمكن لأحد ان يتوقع منه شيئًا . كان واضحًا انه مهتم بها لكن من المستحيل معرفة اعماق شعوره نحوها ما دامت لم تبح له بعد بعاطفتها وصدق مشاعرها .

اخيرًا سألها جيلبير :

" هل انت متأكدة من حبك لكارلوس ؟ "

" لقد وقعت في غرامه منذ كنت في السادسة عشرة من عمري "

" في السادسة عشرة ؟ "

نظر اليها بدهشة وقال :

" لم تخبريني بالأمر ابدًا . ولماذا لم افطن الى ذلك ؟ "

تذكرت السهرة التي اقيمت بمناسبة الذكرى الذهبية لزواج جدي كولن عندما قررت ان تبوح لكولن بسرها . لقد اخبرته الكثير لكنها حافظت على هذا السر المهم .

" لو قلت لك ذلك ، لكنت اعتبرته حب المراهقة العابر ، اليس كذلك ؟ "

" ليس تمامًا ، يا سارة . انت فتاة جادة ولا انظر لعمق عواطفك بسطحية كما تعتقدين . اذن ، كل شيء بدا واضحًا "

نظرت اليه نظرة تساؤل فقال :

" افهم الان لما لا يهمك الرجال كثيرًا . هل يعرف كولن ان لاحظ له معك ؟ "

" انا اكيدة بانه يعرف . لكنه لا يعرف حقيقة مشاعري تجاه كارلوس "

" اتساءل لماذا لم افطن لشيء "

" رفضت ان اظهر حقيقة امري غير انني لم اكن اتألم ولم اكن تعيسة "

" لكنك لم تعرفي السعادة ايضًا . . . كما يجب . . . "

" ما هي السعادة الكاملة ؟ كيف يمكن تحديدها ؟ كنت مكتفية منذ بدأت العمل لديك . واذا رفض كارلوس حبي له ، اعتقد ان حياتي ستستمر كما كانت "

" كلا ، يا ابنتي . . . "

توقف قليلا ونظر اليها بشفقة وقال :

" لا يمكنك ان تنسيه مدى الحياة . هذا مستحيل الآن . لقد لاحظت انكما قريبان لبعضكما ، من جهته فهو يشعر على الأقل . . . بالعطف تجاهك . انت تحبينه . واذا كنت ستكونين تعيسة ، سأندم كل حياتي على اتخاذ القرار بتأليف الكتاب عن قبرص "

كانت احدى الدعوات آتية من لينوس . دعوة الى حفل عشاء في فيللته بآيوس يورغوس . ولهذه المناسبة اختارت سارة ثوبًا اسود اللون بسيطًا ذا قبة عالية واكمام واسعة . كما وضعت على صدره مشبكًا من اللؤلؤ يتناسق مع زوجي الاقراط المتدلية من اذنيها ، احدى هدايا جيلبير بمناسبة عيد ميلادها .

نظر لينوس باعجاب الى سارة عندما وصلت مع جيلبير . اما كارلوس فقد اوقفه احد اصدقائه عندما كان يوقف سيارته امام المنزل .

همس لينوس بلهجة مرتجفة :

" ياعزيزتي ، انت رائعة "

ابتسم جيلبير واجاب بدل سارة قائلاً :

" بالفعل ، لقد قلت لها ذلك منذ لحظات "

امسك لينوس يد سارة وتوجها معًا الى الشرفة حيث كان بعض المدعوين يثرثرون ويشربون تحت ضوء القمر . قدم لينوس المشروب الى مدعويه وجلس بين سارة وجيلبير . كانت الفتاة تبحث عن كارلوس

بعينيها . اين سيجلس يا ترى ؟ سيضطر الى الجلوس بعيدًا عنهما لان الكراسي الثلاثة الباقية التي تحيط بالطاولة يجلس عليها رجلان وامرأة . ونظرت الى جيلبير وقالت :

" سيصل كارلوس في أي لحظة الآن . هل بامكاننا ان نقرب الكراسي قليلاً لنتمكن من وضع كرسي آخر له قربنا ؟ "

فهم جيلبير واقترب في الحال كي يصير بامكان كارلوس ان يجلس قرب سارة . وعندما رفعت عينيها نحوه مبتسمة واشارت له بالكرسي الفارغ :

" تعال واجلس بقربي ، يا كارلوس "

وبعد فترة طويلة جلست سارة وكارلوس على الشرفة واستندا الى الدرابزين ، يثرثران ويتأملان الشاطىء . والأمواج الخفيفة والنادرة التى تتكسر على الشاطىء . الى اليمين ، الصخور تلمع تحت ضوء القمر . ورائحة الجو تعبق بالازهار العطرة .

همست سارة وهي تلتفت بكارلوس :

" انه منظر ساحر . حبي لهذه الجزيرة لا يوصف ! "

ران صمت متوتر ثم قال كارلوس بصوت مبحوح :

" تفكرين الآن بالوقت الذي ستغادرين فيه الجزيرة . . "

.

هزت رأسه متحاشية نظره الثاقب :

" مضى على وجودنا هنا شهران فقط "

تبع ذلك صمت عميق . وهي غير قادرة على تحمل التوتر الضاغط فاقترحت عليه سارة ان يلتحقا بباقي المدعوين .

قبل لكنه لم يتحرك . فاضطرت ان تقف امامه .

" سارة . . . "

وبحركة سريعة امسكها كارلوس بطرف فستانها وابعدها بسرعة عن الدرابزين وقال :

" يا الهي . . . بماذا كان لينوس يفكر اذن ! هذا خطر كبير ! "

كانت سارة شاحبة الوجه . فشعرت بالدرابزين كأنه ينهدم تحت ثقلها عندما استندت اليه بكل قواها .

لكن ، عندما رأت كارلوس امامها يسد عليها الطريق للدخول الى المنزل ، راح قلبها يخفق بقوة فالقت نظرة سريعة تحتها . . . فكادت تقع على الصخور .

فقالت بصوت متقطع ومنفعل :

" شكرًا ، يا كارلوس . لقد سبق ان قال لي . . . لينوس ، ان عليه وضع درابزين جديد "

" لكن هذا العمل كان سيئًا للغاية ، كما ترين ! "

افلت يده عن فستانها ، لكن يده الساخنة ظلت على ذراع سارة . . . وقبل ان تفهم ماذا يرى وجدت

www.riwaya.net مكتبة رواية

نفسها بين ذراعيه . فجذبها نحوه وعانقها قائلاً بعد لحظة صغيرة :

" سارة . . . يا سارتي الناعمة . . . "

كان يمسكها بطرف ذراعها ويحدق نظره الحنون والدافىء في عينيها . ثم اضاف ببساطة :

" احبك "

اطلقت زفرة كبيرة آتية من اعماق قلبها وانضمت اليه مجددًا . وعانقته وهمست وعيناها تلمعان وقلبها ينبض بالامتنان لهذه الفترة السعيدة التي تعيشها :

" احبك ، يا كارلوس . خفت كثيرًا "

تجهم وجه كارلوس وسأل :

" مماذا خفت ؟ "

اجابت بصوت خجول :

" خفت الا تحبني . انا . . . احبك منذ وقت طويل "

.

لم يسألها منذ متى تحبه . كان يعتقد انها وقعت في حبه بعد لقاءهما الجديد . ستوضح له عن هذا الموضوع في وقت لاحق .

قال لها بلهجة غريبة :

" يا حبي ، لا يجب ان تشكي بالأمر بعد الآن . . . كل شيء سيكون على ما يرام . انا اكيد من ذلك "

وقبل ان تتمكن سارة من الكلام كان كارلوس قد ابتعد عنها بعدما سمع اصواتًا وضجيجًا تقترب منهما .

وصل لينوس الى الشرفة يرافقه رجل قبرصي يوناني .

للحال قام كارلوس بلفت انتباه لينوس الى الدرابزين فصرخ بارتباك :

" يا الهي ! ماذا جرى ؟ "

" كادت سارة ان تقع على الصخور . فالتقطتها في الوقت المناسب "

قال لسارة :

" أنني متأسف للغاية لما حدث "

اعتذر ووعد بان البناء سينال جزاءه على تقصيره هذا

.

ثم اضاف :

" يجب مراقبة اعمال العمال ! "

طلب الرجل القبرصي من كارلوس اذا كان بامكانه ان يسمح له في التحدث اليه لحظات قصيرة . ثم شرح لسارة قائلاً :

" هناك امور مهنية اريد ان استشير كارلوس بها . اذا كان هذا لا يزعجك . . . "

اجابت مبتسمة :

" ابدًا "

ثم قالت لكارلوس :

" سأكون في الداخل "

" حسنا لن امكث طويلاً "

هبط كارلوس السلالم مع الرجل حتى الحديقة وران الصمت بعد غيابهما . اخيرًا تكلم لينوس قائلا بلهجة قاسية :

" كنت اعتقد ان كارلوس اخوك ؟ "

" انه اخي يالتبني . لقد سبق ان قلت لك "

" اذن ، لستما قريبين فعلاً "

اخفض لينوس عينيه نحو وجه الفتاة الممتقع وتمكن من قراءة عينيها الرماديتين . فلمحت نظرته القاسية .

تردد لحظة قبل ان يتابع :

" لقد رأيتك تعانقينه . هل سبق ان التقيت المرأة التي سكنت عندها ريان خلال اسبوع كامل في نيقوسيا ؟ "

انتفض قلب سارة واجابت بصوت اجش :

" كلا . . . اعرف انها موظفة في مكتب كارلوس في نيقوسيا . كان . . . زوجها يعمل عند كارلوس قبل ان يموت . . . "

انطفأ صوتها عندما رأت تعبير وجه لينوس واضافت بلهجة عنيفة :

" هذا ما اخبرني كارلوس به "

" هذا صحيح . كارلوس غير قادر على الكذب . لكنه لم يقل لك كل شيء . الرجل المتوفي كان مدير المعمل الذي يملكه كارلوس . توفي منذ سنة تاركًا زوجة رائعة الجمال تدعى انولا وابنًا عمره خمس سنوات . فاقترح كارلوس حينذاك على انولا ان تعمل كسكرتيرة في المعمل . . . "

قاطعته بلهجة عصبية وقالت:

" اخبرني كارلوس كل هذا "

" اشك في الأمر "

تلألأت عينا لينوس فجأة واتضح لها انه يغار كالمجنون

. تابع يقول ببطء ليزيد من تعذيبها :

" لكنه لم يقل لك ، يا عزيزتي ، انه مخطوب لها . . . "

" مخطوب ! لا اصدقك ! "

اكمل لينوس كأنها لم تقاطعه :

" عندنا ، الخطبة هي اتحاد قوي كالزواج . لا احد يكسر الخطبة . واذا فعل كارلوس هذا الشيء ، سيلطخ سمعته بالعار الى الابد "

انتهى الفصل الثامن

9- الزائر الصديق

سارة وريان تلعبان في الحديقة . وكولن جالس على كرسي طويل يراقبهما بابتسامة مرحة . وعلى الشرفة يقرأ جيلبير ما دونته سارة خلال اقامتهما في فاماغوستا من انطباعاتها الشخصية . ثم يعلن بفرح ان ما كتبته يستحق استعماله في كتابه . كان اليوم نهار السبت واتت سارة بريان في الصباح الباكر . فتناولت الفتاة الصغيرة الغداء في الفيللا بينما وعد كارلوس بالأمس على الهاتف انه سيسر للتعرف على كولن الذي وصل لتوه .

رفع الكاتب عينيه عن الاوراق لينظر الى ريان التي تضحك بفرح وهي تلهو مع سارة . كانت الفتاة تركض في كل الجهات لتتخلص من ايدي عمتها .

" آه ! لقد التقطتك ! "

ضمت سارة الفتاة بين ذراعيها . فنظرت ريان اليها بعينيها الخضراوين المليئتين حبًا وقالت :

" انت تعرفين جيدًا سرعتي ، يا عمتي سارة ، لكنك تضيعين الوقت قبل ان تلتقطيني "

مسحت ريان العرق المتصبب على جبينها واضافت :

" آه ! كم الطقس حار ! "

" اذن لنستريح الآن ونأخذ بعض المشروبات المنعشة "

يدًا بيد توجهتا نحو كولن . لكن ريان اسرعت نحو جيلبير وجلست على ركبتيه . وبقيت سارة وكولن وحدهما .

قال كولن بصوت جاف :

" ما هذا التغيير المفاجيء الذي طرأ عليك ! اين تلك الفتاة البادرة التي عرفتها زمان ؟ "

ضحكت بينما كان قلبها محطما بخيبة الأمل :

" هذا تأثير الجزيرة . هنا ، الجميع لا يشعرون بثقل الهموم "

اغمضت عينيها : تتألم على نفسها وعلى كارلوس ايضًا .

نظر كولن نحو ريان التي تمسك بعنق جيلبير وقال بلهجة تحد :

" هل تتذكرين ما كنت تقولينه لي عن الاولاد والحياة العائلية ؟ "

تنهدت ثم جلست على العشب رافعة ركبتيها حتى عنقها . عيناها مبللتان وفمها الجميل يرتجف . نظر اليها كولن بدهشة وقلق وسألها :

" هل هناك شيء يقلقك ، يا سارة ؟ "

هزت رأسها من دون جواب . كانت بحاجة ماسة ان تتحدث الى احد ما . كان يجب عليها ان تفشي بسرها الى جيلبير ، لكنه منغمس بالكتابة ولا تريد ازعاجه . فهي تعرف انه سيقلق عليها كثيرًا ، وبالتالي لن يعود قادرًا على التركيز في عمله المبدع . فجأة نهضت واقفة وقالت :

" لنتنزه قليلاً وسأخبرك بكل شيء "

نظرت الى جيلبير والى الفتاة في حضنه وقالت :

" هل بامكان ان تبقى معك مدة عشر دقائق ؟ "

هز رأسه ايجابا .

وقبل ان يغادرا الحديقة ، سألها كولن :

" سارة ، ماذا يجري ؟ تبدين مضطربة كليًا ، خاصة عندما جلست على العشب "

فكرة برهة قبل ان تجيب :

" لقد اخبرتك مرة عن كارلوس . هل ما زلت تتذكر ، يا كولن ؟ "

" كيف انسى ذلك ؟ "

" لقد جعلتك تعتقد انه بالنسبة اليَّ اخ لا غير"

ران صمت طويل . رمقها كولن بنظرة سريعة وهما يتوجهان نحو الباب الحديدي ، ثم قال :

" نعم ، هذا صحيح "

آليا ، مدا يديهما معا ليفتحا الباب ولمست يده يدها . فضغط كولن على يدها بشدة فشعرت سارة بارتياح وقالت :

" لم اقل لك الحقيقة ؟ لقد وقعت بغرام كارلوس منذ ان كنت في سن السادسة عشرة "

ردد وهو يتذكر الحديث الذي تناولاه في انكلترا ليلة الاحتفال بعيد زواج جديه الذهبي :

" ست عشرة سنة ؟ ! أى عندما تزوج هو ، اليس كذلك ؟ "

هزت رأسها موافقة وقالت :

" عرفت انني احبه يوم عرفني فيه الى اليسون . لقد كتبت لك في رسالتي انها توفيت "

" واخبرتني ان كارلوس قد رضي عنك . لكنك لم تخبريني عن حبك له "

" لم اكن اعرف انه يحبني "

قال بصوت مندهش :

" هل يحبك ؟ "

لا شك انه كان يعتقد انها تعسة لان كارلوس رفض حبها فقالت :

" نعم يا كولن . انه يحبني "

" في هذه الحال ، اين تقع المشكلة ؟ "

فتح لها الباب الحديدي ودعاها للخروج امامه .

" لقد عقد خطبته على امرأة اخرى "

" خطبته ؟ هل خطيبته امرأة قبرصية ؟ "

" نعم . لا اعرف اذا كنت تعلم ان الخطوبة هنا في قبرص هي بمثابة الزواج . وتتم الخطبة في الكنيسة حيث يتبادل الخطيبان خاتم الخطبة . لا احد هنا يكسر الخطبة "

قطب حاجبيه وقال :

" لا افهم جيدًا . اذا كان كارلوس خاطبًا ، فكيف وقع بحبك ، وفتح لك قلبه وحقيقة عواطفه ؟ "

" كان يناضل ضد هذا الحب . لكن جاء يوم وقرر ان يأخذ قرارًا . اعرف الآن انه مستعد ان يصرح لانولا انه غير قادر على الزواج منها . لا يوجد بينهما أي حب . غير ان انولا امرأة وحيدة وام لصبي صغير . وكان كارلوس يعاني الوضع نفسه . فصمما على الزواج لمصلحة الولدين . ولا شك ان كارلوس فكر بأن الزواج سيؤمن الاستقرار لريان "

" هل قال لك انه لن يتزوجها ؟ "

" ذهب خصيصا الى نيقوسيا ليحدثها . عادة لا يذهب الى العاصمة بصورة مستمرة بالرغم من وجود مكاتب عمله هناك . اذن ، ذهب كارلوس ليراها ، لكن لم تكن ردة فعلها كما كان يأمله . . . "

" كان يتصور انها ستفك العقد وبالتالي سيكون قادرا على الزواج منك "

" ليس هذا بالضبط . في الواقع قالت له انولا ، عندما عقدا خطوبتهما ، انه اذا احدهما وقع بحب انسان اخر قبل الزواج فبامكانهما فك العقد ، لكنه لم يكن يتصور ان هذا سيحدث له ، لانه لم يكن ميالا الى النساء . لكنه عندما عرف انه يحبني ، حاول مجابهة عواطفه . وقرر اخيرًا ان يلغي العقد . لكن انولا ، عندما علمت بالامر راحت تبكي وتولول وقالت له انها مصرة على الزواج منه . بالنسبة اليه ، اصبحت المسألة تتعلق بالشرف . وهو مضطر الان ان يخضع لارادة خطيبته "

" عليه اذن ان يتزوج من امرأة لا يحبها ؟ "

" اعتقد . . . انه سيتزوجها "

" لكن ، انت . . . ؟ "

هبطا ببطء داخل الممر الذي تحده اشجار الحمضيات ، فالبيوت البيضاء ساخنة تحت شمس الظهيرة . حدائقها مليئة بجميع انواع الازهار والبقول . هنا وهناك شجرة نخيل تتأرجح في بطء تحت السماء الزرقاء ، بفعل نسيم ناعم آت من البحر .

قالت سارة :

" ربما تتسأل ما اذا كنت سأتصرف مع كارلوس كعشيقة له ؟ "

اجاب بلهجة حنونة :

" لا يمكنني ان اصدق ان مثل هذا الشيء يصدر عنك "

امتلأت عيناها دموعًا وقالت :

" ولا انا ، لكن الآن . . . "

" انت اذن تتألمين كثيرًا "

" لا يمكنني ان اعيش من دونه . سأقاوم لوقت ما ، لكني اخاف ان استتسلم له يومًا ما "

ظلا يمشيان بصمت ، ثم سألها كولن اذا كان بامكانه ان يطرح عليها سؤالاً حميمًا . فهزت رأسها :

" هل اقترح عليك كارلوس ان تقيمي معه علاقة عاطفية ؟ "

"كلا ، لكن زواجه سيكون زواج ابيض لا غير"

" هل قال لك كارلوس هذا الكلام ؟ "

" نعم . منذ وقت قصير . كان يأمل دائمًا ان يصار الى تدابير معينة ترضي انولا وتقنعها بقبول الانفصال . لذلك السبب لم يقل هذا الكلام قبل ذلك . شاب قبرصي وقع بغرامي يدعى لينوس لكنني رفضت الزواج منه . ولهذا السبب اخبرني بخطبة كارلوس وانولا للانتقام طبعًا . اذ شاهد كارلوس يقبلني ، فتصرف بدافع الغيرة "

" هل قال لك كارلوس ان زواجه من انولا سيكون زواجا ابيض ؟ "

" نعم . لكن بطريقة غير مباشرة . لم تكن انولا تريد ان يكون زواجهما زواجًا حقيقيًا ما داما لايحبان بعضهما . فقد احبت زوجها الأول . كما تجد ان العلاقة الجنسية بين شخصين لا يحبان بعضهما علاقة غير اخلاقية حتى لو كانا متزوجين . . . "

" هل تعتقدين ان كارلوس سيعيش حياة الناسك طيلة عمره ؟ "

" انا اكيدة انه كان على استعداد لتقبل هذا النمط من الحياة ، لو لم نلتق من جديد "

" هل تعرفت الى انولا ؟ كيف هي ؟ ما عمرها ؟ "

" عمرها 24او 25 سنة على ما اظن . انها جميلة جدًا ولطيفة وناعمة للغاية "

ردد كولن مندهشًا :

" وناعمة جدًا ؟ كنت اتصورها امرأة متملكة وشرسة "

" لا ابدًا . وهذا ما يجعل الوضع ميؤسًا منه . لنفترض انني تورطت في علاقة مع كارلوس ، لا يمكنني القول بانها تستحق ذلك وسأظل نادمة على ما فعلت "

" اذن لن تقومي بعلاقة عاطفية معه ؟ هل تعتقدين ان كارلوس يتقبل الوضع ؟ "

افهمت كولن ان التجربة ربما تكون اقوى منه . فقال كولن للحال :

" حسبما اخبرتني عن كارلوس انا متأكد انه لن يتأخذ منك عشيقة "

راحت سارة تتخيل المشهد المحفور في ذاكرتها . فقد افصحت لكارلوس انها على علم بخطبته . وبعد ان شرح لها كل شيء ضمها في ذراعيه بحنان . كانا وحيدين في منزل كارلوس ، في الصالون الجميل الذي يطل على الجبال . هذا الشعور الحميم جعلهما متوترين ، الى درجة انهما كادا يستسلمان للعاطفة العميقة التي تجذبهما . لكن اخيرًا ، اخترقا الوضع مدركين انهما وصلا الى الهوة الحاسمة . . . حاسمة لأنه من المستحيل بعد ما حدث ان يعودا الى الوراء .

بعد ذلك اليوم التقيا مرات عديدة وسمحت لهما الظروف للاختلاء قليلا ، فكانا يتعانقان ويهمسان الكلمات الناعمة ، لكن اشارات الحنان هذه لم تجرفهما الى نقطة اللاعودة . اعترفت سارة في اعماقها ان رباطة جأش كارلوس وحدها هي التي نجتهما من الوقوع في الخطر .

عادت الى الواقع وهي تسمع كولن يقول لها :

" لا افهم كيف لم تسمعي بخطبته من قبل . حسب رسائلك فهمت ان الناس في القرى يعرفون كل ما يدور بامور ومشاكل الغير "

" طبعًا , نعم . لكن انولا تعيش فى قرية بعيدة عن منطقة بافوس . وهناك تمت الخطبة . وكانت مصرة

على المحافظة على سرية هذا الاحتفال . حسبما فهمت ، انها امرأة خجولة وتعيش حياة منعزلة "

" فهمت . لكن لينوس كان على علم بذلك . . . "

" هذا ما فاجأ كارلوس . قال لى لو أنه يتوقع ذلك من لينوس لما تركنى وحدى مع . لكنه كان يشعر ان لينوس يشك بعلاقتنا الاخوية ، وانه ربما عرف اننا نحب بعضنا ، وغيرته هذه فضحت الأمر . ومن جهة اخرى ، لقد جرح في عزة نفسه عندما رفضت الزواج منه . كان كارلوس ينوي اخباري كل شيء ، لكنه كان يريد ، في بادىء الامر ، محاولة اقناع انولا مرة اخرى ، على التراجع عن عنادها وتصلبها "

توقفت ثم تذكرت كلمات كارلوس التي بدت لها حينذاك غريبة :

" كل شيء سيكون على ما يرام ، انا اكيد من ذلك "

قالت سارة :

" هل يعرف كارلوس كيف اكتشف لينوس خطوبته ؟ "

" لا اعتقد ذلك . فكر كارلوس بالأمر مطولاً لكنه لم يجد سوى حل واحد ممكن ، حتى ولو قبله عن مضض اذ يعتقد ان لينوس ربما قرأ رسالة او جزءًا منها ارسلتها انولا الى كارلوس . لأنه في احدى الامسيات كان لينوس مدعوًا عند كارلوس ، وعلى الطاولة كانت رسالة انولا . ابتعد كارلوس ليجلب المشروب .

وهنا لا شك قرأ لينوس الرسالة بغيابه . وكان الامضاء :

" خطيبتك ، انولا "

قررا العودة الى الفيللا . وبعدما توقفا امام منزل المختار ليتبادلا الحديث الاعتيادي ، دعاهما المختار الى مشاركته الغداء الذي كان يحب ان يأخذه في الحديقة . لكنهما اعتذرا واكملا الطريق حتى وصلا الى الفيللا .

سأل كولن وهما يدخلان الحديقة ليلتحقا بجيلبير وريان :

" هل يعرف جيلبير بالامر ؟ "

" انا لم اقل له شيء ، كي لا اعرقل عمله . انت تعرف كم هو قلق علي "

اجاب كولن من دون عداوة او لوم :

" لكنه لم يقلق علي ابدًا "

" صرح لي انه اذا كان كارلوس لا يحبني كما احبه ، فسيندم طيلة حياته لانه جاء الى قبرص ليؤلف كتابًا "

" اذن انه يعلم حقيقة مشاعرك تجاه كارلوس ؟ "

" نعم ، هذا كل ما صرحت به حتى الآن "

" اليس هو فضولي لمعرفة تطور الوضع ؟ "

" انه منغمس بعمله لدرجة انه لا يفكر بشيء آخر . لا شك انه ينتظر مني ان اعلمه بتطور الوضع متى

حان الوقت وسمحت الظروف . صحيح انه يهتم بي جدًا ، لكنه لن يطرح علي اسئلة خاصة الا اذا كنت البادئة في تناول الموضوع "

" لكن ، سينتهي به الامر ان يتساءل ماذا يجري ؟ "

" فيما اذا كان كارلوس يحبني ايضًا ؟ "

هزت رأسها واضافت :

" آمل ان اظل قادرة على السكوت حتى يكون قد حقق جزءًا كبيرًا من كتابه . حينئذ سأقول له الحقيقة . حتى ولو كنت سأسبب له بعض الألم "

" هذا امر حتمي ، فكما قلت ، سيندم لأنه اصطحبك معه الى قبرص "

وصل كارلوس في المساء متأخرًا ، لأنه كان منهمكًا بالرد على الهاتف . ابتسم بحنان الى سارة وحدق بها مطولاً قبل ان ينظر الى جيلبير الذي وقف ليقدم له ابن اخيه كولن .

تصافح الرجلان باليد . وكان كولن اشقر فاتحًا بينما كارلوس اسمر غامقًا . التناقض كان واضحًا لكن الاثنين وسيمين وجذابين . كل واحد حسب طريقته الخاصة . اعجبا ببعضهما منذ الجلسة الأولى وفرحت سارة لهذا الأمر لأنها كانت تخشى ان يكون كارلوس يغار من كولن . وهو يعرف انه كان صديقها منذ خمس سنوات .

وعندما اخبرته عن كولت واعلمته بمجيئه ابدى قلقه بقوله :

" تعرفينه منذ خمس سنوات ! وهو رجل حر "

اجابت ببساطة :

" اننى احبك يا كارلوس ، ولن يكون هناك ابدا رجل آخر في حياتي "

اجابها كارلوس وبريق قاتم في عينيه الخضراوين :

" تحبينني منذ زمن بعيد . . . منذ سن المراهقة . . . "

لقد اخبرته سارة بهذا التفصيل يوم كانا يخبران بعضهما الاسرار الصغيرة في حياتهما وهتف حينذاك :

" حبيبتي ، ماذا سيحل بنا ؟ "

اخذت رأسه بين ذراعيها كأنها تؤرجحه واجابت :

" ربما غيرت انولا رأيها "

ثم رددت بصوت شغوف :

" نعم ، ستغير رأيها ، يا كارلوس "

شعرت انه على وشك البكاء لشدة تألمه غير انه اكتفى باطلاق زفرة عميقة فوق صدرها وقال بلهجة خائبة :

" لن تغير رأيها ابدا . انها وحيدة وتخاف المستقبل . وانا اتفهم وضعها ، انها لا تهتم بنفسها مثلك يا سارة ، فهي غير قادرة على العيش من دون ان تستند الى

رجل في حياتها . انه الخوف وليس غريزة التملك ما يمنعها من فك خطوبتنا "

اضاف كارلوس بأن انولا امرأة قبرصية خجولة ولا يمكن لسارة الا ان تحبها متى تعرفت عليها .

وتلبية لأمنية سارة ، اصطحبها كارلوس في اليوم التالي لزيارة خطيبته في نيقوسيا . فلاحظت سارة ان انولا بدأت ترتجف عندما قدم لها سارة المرأة التي يحبها . كان الوضع غريبا ، لكن لم تنشب بين الامرأتين أي عدائية ، او اصطدام .

بعد هذه الزيارة . شعرت انولا بتفاؤل ، وفهمت ان الزواج لن يتغير موعده . لكنها غير اكيدة ان كارلوس سيوافق على الزواج منها بهذه السرعة . غير ان سارة

اكيدة بشكل تام انه لن يتخلى عن خطيبته . عندما قرر الزواج من انولا كان مقتنعًا انه الحل الافضل لانجاب الاولاد ، وكان متأكدًا انه لن يقع في حبها او حب أي امرأة اخرى . اما اذا كانت انولا تريد ان تتزوج من رجل آخر ، لكان كارلوس قبل الغاء العقد . وفي كل الاحوال سيتم الزواج ، لانه في قبرص لم يسمع احد بفك الخطبة الا بعد اتفاق مشترك بين الخطيبين .

جاءت ريان وقطعت حبل افكار سارة وسألتها اذا كانت تحب ان تلعب معها في الحديقة قبل موعد العصرونية .

سألتها سارة :

" الا ترهقين نفسك بالركض المستمر ، من دون توقف ؟ "

وتذكرت سارة الفتاة العاقلة الجامدة التي كانت تخاف ان توسخ فستانها . اما الآن فاصبحت ريان عفريتة كالصبيان . وتذكرت كم بذلت من جهد لتقنع كارلوس بأن ريان بحاجة الى ان تتصرف كأبنة من عمرها .

كان كارلوس يخشى ان تشعر ابنته بأنها مهملة ولا يحبها احد ، فيما اذا تركها توسخ ملابسها او تشعث شعرها .

لكن سارة بذلت جهدًا ايضًا في الاهتمام بالفتاة . فراحت تلعب معها في أي مناسبة وتقص عليها

الحكايات . . . فتفتحت الفتاة وراحت تعبر بكل حرية عن عاطفتها القوية لعمتها . ومن جهة ثانية بدأت ريان تحب والدها اكثر ، لأنه اصبح متفرغًا اكثر وتراه معظم الاحيان ، وذلك بسبب عمتها سارة .

اجابت ريان :

" اشعر بالتعب احيانًا . قال لي والدي امس اني ارهق نفسي ولا شك اني اتعب احيانا حتى الموت ، لكنني رفضت ان افصح له بالأمر "

ثم راحت الفتاة تلعب بالكرة مع كارلوس وكولن لوقت طويل ، مما جعل جيلبير يقول لسارة :

" يالها من فتاة لطيفة . لقد قمت بعمل بناء معها ، يا سارة "

ابتسمت له وشعرت بدفء في اعماق قلبها . انها محظوظة بهذا الصديق الحميم ، فهي تعرف انها ستغادر كارلوس يومًا ما ، وسيظل جيلبير صديقها في ايام الوحدة التي تنتظرها .

اجابت :

" لم يكن الامر صعبًا للغاية . فما بدأت ريان بالتحرر حتى اصبح التغير جليًا "

هز جيلبير رأسه ونظر الى ريان وهي تلعب مع الرجلين ثم قال :

" الاولاد يتكيفون بسرعة في هذا العمر . يريدون استمالة اعجاب الغير بهم "

غير ان ريان لم تحاول استمالة لطف والدها في هذا الوقت بالذات . فما ان انتهى اللعب والمرح حتى راحت تناقشه بجدية حول الوقت الذي ستذهب فيه الى فراشها . قال كارلوس في لهجة قاسية :

" حان الوقت كي نعود الى المنزل "

" انا ما زلت بحاجة الى عشر دقائق . . . "

" لا تنسي انك بحاجة الى نصف ساعة على الأقل كي تصيري جاهزة للنوم "

صرخت ريان قائلة :

" عمي جيلبير ، هل بامكانك ان تطلب من والدي ان يبقى قليلاً بعد ؟ "

الجميع قهقهوا من الضحك . نظرت ريان الى جيلبير نظرة واثقة وتلألأت عيناها من الفرح عندما قال لكارلوس :

" لا اريد ان اتدخل بينك وبينها ، لكن بامكانك ان تدعها تنام هنا . وما رأيك ان تبقى للعشاء معنا ؟ "

نظر كارلوس الى سارة ورأى في عينيها الحاحًا بالقبول . فوافق على عرض الكاتب للحال واضافت ريان بحماس :

" وبامكاني ان انام من دون قميص نوم . غالبا ما انام من دونها عندما يكون الطقس حارًا كاليوم "

نظر كارلوس الى ملابس ابنته ، لكن جيلبير قاطعه قائلاً :

" آه ! من دون تملق وحركات . لنبقَّ كما نحن . ما رأيكم جميعًا لو نتناول كأسًا في الدار ؟ "

" هل بامكاني ان آخذ كأسًا معكم ؟ "

" كلا يا ريان . هذا غير وارد . عليك ان تذهبي الى فراشك . واذا كنت تريدين مناقشة هذا المشروع ، اعيدك فورًا الى البيت "

وبطبيعة الحال ، فضلت الفتاة السكوت . وبعد نصف ساعة ، اعطتها سارة حمامًا فاترًا ودخل كارلوس الى الغرفة عندما كانت سارة تضع ريان في فراشها استعدادًا للنوم ، فتمنى لابنته ليلة سعيدة كي يتمكن

من البقاء بضع دقائق وحده مع سارة بعدما اقفل باب الغرفة .

همس بصوت حزين :

" حبيبتي ، احبك كثيرًا . لماذا لم تأتي اليَّ من زمان ؟ "

" لوكنت اعرف . . . ! "

لم تضف شيئا واستسلمت لعناقه . كانت تضمه اليها بحنان لتجعله يشعر الى أي درجة هي بحاجة اليه .

وفكرت بمرارة ان كل هذا العذاب لا يجدي شيئًا . لو كان كارلوس انكليزيًا او اميريكيًا ، لكان بامكانه فك عقد الخطبة من دون ان يشعر بالعار .

اخيرًا قالت :

" حبيبي يجب ان نلحق بالآخرين . سيتسألون لماذا تأخرنا "

هز رأسه وابتعد عنه قليلاً ليحدق بها بعمق ولهب وقال :

" لو احترمت انولا وعدها ، لتغير الأمر كليًا . لكنها تخاف من الوحدة . وهذه حال جميع القبارصة "

يدًا بيد تمشيا في الممشى ولم يفترقا الا في اللحظة الأخيرة قبل مواجهة الحضور . جيلبير وكولن يثرثران في الصالون . اخبره الكاتب انه سيكون من بين المدعوين ، في جميع الظروف ولامجال للتهرب .

لكن كولن اجابه انه يفضل ان يرتاح قليلاً .

ثم سأل سارة عندما جلست على الاريكة قرب كارلوس :

" وانت ، يا سارة ، هل تتحملين الوضع ؟ "

" انا وجيلبير ، نتنفس قليلا عندما نذهب خارج لابيتوس . نعمل كثيرًا وفي المساء نرتاح . هكذا لا نرهق انفسنا كثيرًا "

انطفأ صوتها فجأة . من الباب الزجاجي المفتوح نظرت الى الشرفة باندهاش . هناك رؤوس كثيرة حجبت نظرها . اطلق كارلوس صرخة تعجب واستغراب وخرج بخطى سريعة . لمحته انولا وارتمت بين ذراعيه . وسمع الجميع من الداخل بكاؤها وصراخهاالجنونى .

" نيكولا لطمته سيارة . . . حاولت الاتصال بك ، فقيل لي انك غير موجود . لم اصدق . ذهبت الى المنزل . فقيل لي انك هنا . . . كارلوس ، تعال معي الى المستشفى . لا يريدون ان يدعوني ارى ابني . . . اخاف ان يكون قد مات "

تأبط ذراع انولا وآنسها بكلمات لطيفة . ففوجىء جيلبير بالامر ، بينما نظر كولن الى سارة مستغربًا .

سأل جيلبير سارة :

" ماذا يعني كل هذا ؟ من هي هذه المرأة ؟ "

اجابت بصوت مرتجف :

" تدعى انولا . . . انها . . . انها خطيبة كارلوس . .

" .

توقفت لحظة ثم اضافت :

" كانا مخطوبين قبل ان نأتي الى قبرص "

انتهى الفصل التاسع

10- لعبة القدر

" يا ابنتي الحبيبة ، انا افهم جيدا بماذا تشعرين .

واعرف ايضا ان البكاء يخفف العذاب عند النساء .

هذا ما كانت تقوله لي زوجتي دائمًا "

هذا المشهد حدث في صباح اليوم التالي ، عندما اقترح جيلبير على سارة ان تدخل معه مكتبه ، حيث بامكانهما التحدث معًا على حدة .

اتقدت حنجرة الفتاة وهي تقول :

" انت لطيف جدًا ، هذا صحيح ، ربما البكاء يشعرني بتحسن "

راحت تتذكر حادثة الامس ، طلب منها كارلوس ان تبقى مع انولا ليذهب بالسيارة مع جيلبير . ثم اخذ المرأة الى نيقوسيا واكتشف ان العاملين في المستشفى

ابعدوا انولا عن ابنها لأن الصبي كان في غرفة العمليات لتجرى له عملية جراحية غير خطرة . وعد الاطباء باخراج الولد من المستشفى بعد اسبوع تقريبًا .

رفضت انولا ان تبقى وحدها فاعادها جيلبير الى الفيللا .

سأل كارلوس جيلبير معتذرًا :

" هل بامكانك ان تسمح لها بالبقاء هنا ؟ لا اريد ان استضيفها عندي لان لا احد يعرف اننا مخطوبان ، ولا احب سماع الاشاعات والاقاويل "

" طبعا ، ستبقى هنا بكل طيبة خاطر "

غير ان سارة لاحظت ان جيلبير قبل طلب كارلوس على مضض ، لأن لاخيار له .

قال جيلبير لسارة بعد مضي وقت على الحادثة :

" صحة انولا هي قبل كل شيء اخر . انها على وشك ان تصاب بانهيار عصبي "

كان كولن موجودًا معهما ، فلاحظت سارة انه حزين فسألته :

" هل هناك شيء يزعجك ، يا كولن ؟ "

فوجيء كولن بالسؤال . . . لم يكن يلاحظ ان تعابير وجهه قد تغيرت الى هذه الدرجة .

قاطع جيلبير حبل افكار سارة وقال :

" لن اعمل اليوم . اذا كنت تريديني ان آخذك الى مكان ما بعيدًا عن المنزل فلا تتردي بان تسأليني "

قالت بلهجة آسفة :

" انا اعرف ان مشاكلي تمنعك من العمل . ولهذا السبب لم اكن اريد ان اخبرك بالأمر . قلت لي انني اذا شعرت بالحزن وخيبة الأمل فستندم لانك جئت بي الى هنا "

" اتذكر ما قلته وهذا ما اشعر به اليوم "

" لا يجب ان تندم على شيء . مهما كان المستقبل ، سأحتفظ بذكريات حلوة عن قبرص . في كل حال انا وكارلوس سنظل على اتصال . سنراسل بعضنا . . . لكن . . . فقط مثل شقيق وشقيقته . . . "

خبأت رأسها بين يديها وراحت تجهش بالبكاء كأن قلبها يتحطم . فقال جيلبير بصوت مليء بالرأفة :

" يا ابنتي . . . آه ! يا ابنتي "

سمعت الباب ينفتح وكولن يقول بلهجة آسفة :

" آسف يا عمي . جئت . . . فقط لأسألك اذا كان بامكاني استعارة سيارتك ، لكن . . . آسف لازعاجكما "

توجهت سارة الى غرفة انولا لتراها قبل مغادرة المنزل . كانت جالسة امام النافذة تتأمل الحديقة بحزن .

سألتها سارة لماذا لا تذهب وتجلس في الشرفة .

هزت انولا رأسها وانغمست من جديد في تأملاتها .

كان النهار جميلا وكانت جبال اناتوليا تبدو قريبة من بعضها وراء البحر الأبيض المتوسط . وعن قريب كانت اشجار الزيتون والحامض تهتز ببطء .

" عزيزتي انولا ، لا جدوى لهذا اليأس الكبير . تعرفين الآن ان ابنك بحالة جيدة "

همست المرأة بصوت خفيض :

" لست حزينة بسبب نيكولا "

" ماذا هناك اذن ؟ "

اخيرًا التفتت المرأة نحو سارة وقالت :

" انت تكرهينني ، اليس كذلك ؟ "

" لا ابدًا . لا احد بامكانه ان يكرهك "

فجأة صرخت المرأة القبرصية وهي تفتح الباب الزجاجي بسرعة ستختنق :

" انه لي . لماذا جئت الى هنا ؟ لماذا كان عليه ان يقع في حبك ؟ "

الدموع تتساقط من عينيها . ازاحت نظرها متصنعة البحث عن منديل في جيبها . ثم خرجت الى الشرفة . لا هي ولا سارة لاحظتا وجود كولن تحت شجرة الدلب القديمة .

تابعت المرأة قائلة :

" بامكانك ان تأخذيه مني ، انا اعرف ذلك ، لكن ارجوك الا تفعلي ذلك والا انتحر واقتل ابني الوحيد ! اخاف ان ابقى وحيدة . كارلوس يعرف ذلك ، وكان لطفًا منه ان يطلب يدي . ومنذ ذلك اليوم وانا انسانة سعيدة واقل تخوفًا . . . "

توقفت لتمسح الدموع من عينيها بطرف يدها . قدمت لها سارة منديلاً واقتربت منها الى الشرفة . وسمعتها تقول :

" صحيح اننا لا نحب بعضنا . . . لكنني هنا ، الحب ليس كل شيء . فزواج الحب نادر في هذا البلد "

سألتها سارة بلطف شديد :

الا تفضلين ان تتزوجي عن حب . ما زلت شابة واامامك الوقت لتلتقي بشخص تحبينه ويحبك "

" انت تحاولين ان تقنعيني ان اتخلى عنه . . . لكنى لن افعل ذلك ابدًا "

وانتابتها نوبة بكاء هزت كل كيانها . وغريزيًا احاطتها سارة بذراعها ، فراحت انولا تبكي على صدرها كما كانت سارة تبكي منذ قليل على صدر جيلبير .

" لو لم اكن اخاف من الوحدة لاعطيت كارلوس حريته . . . "

ابتعدت عن سارة وهي تجهش وتمسح دموعها .

" هنا المرأة ليست شيئًا من دون زوج . الناس يعاملونها بتسامح مع بعض التعجرف "

" اني افهمك كليًا "

ضاع آخر امل لسارة . لشدة خوفها لن تتراجع المرأة القبرصية عن امنيتها الوحيدة . والخوف وحده هو المسؤول عن تصرفها . . . ومن الصعب جدًا التغلب على هذا الخوف .

" اريد . . . اريد ان اتزوج في اقرب وقت ممكن . ما كان يجب ان انتظر مطولاً . . . لانني كنت آمل ان اقع في حب رجل آخر في هذا الوقت . . . "

توقفت عن الكلام واحمرت وجنتاها بشدة لادراكها ما جاءت تصرح به .

" لو حدث انك وقعت في الحب ، اما كنت تطلبين كارلوس ان يتراجع عن وعده ويفك العقد ؟ الم تحافظي على سرية الخطوبة ، لهذا السبب بالذات ؟ "

سكوت انولا كان اعترافًا واضحًا . واخيرًا نطقت قائلة :

" انا اعرف بماذا تفكرين ، يا سارة . لك الحق ان تحاكميني ، لكنني لم اقع في الحب وهذا لن يحدث لي ، لأنه من المستحيل ان التقي بالرجال . الزواج هنا يديره الأهل . سأتزوج اذن من كارلوس وقريبًا جدًا . وهو سيتزوجني لأنه انسان طيب وصادق "

راحت تبكي فجأة وتضغط بيديها على صدر سارة . وتقول :

" لا تحاولي ان تأخذيه مني ، ارجوك ! اقطعي وعدًا بذلك ! عديني ! "

اجابت سارة بصوت هادىء :

" اعدك بذلك ، يا انولا . لا سبب للقلق بعد الآن . لست انوي محاولة التأثير على كارلوس . اعرف ان شرفه اهم من سعادته . انا اكيدة من ذلك "

" نعم . انه متحد بي . . . متحد بي ، هل سمعت ؟ وهنا لا احد يفسد هذا الاتحاد . . . "

" دعينا من ذلك . والآن ما دمت اقل توترًا ، عليك ان تذهبي الى الحديقة وتتمتعي بالهواء المنعش "

ترددت قليلا ثم سألت فجأة :

" انت ذاهبة ايضًا ؟ "

يالها من فتاة مدللة . انها رائعة وبامكانها ان تجذب أي رجل ليقع في غرامها . سيتوصل كارلوس يومًا ان يحبها

. . .

لكنها عدلت عن هذه الفكرة اذ فكرت بأن الحب الذي يربطها بكارلوس قوي الى درجة انه من المستحيل ان يحب كارلوس يومًا ما امرأة اخرى . لكنه سيعيش قرب انولا ويشاركها طعامها واوقات فراغها ويلعب مع اولادهما . . .

" كلا ، يا انولا . لست ذاهبة الى الحديقة . جيلبير وانا سنقوم بنزهة في السيارة "

" سابقى اذن وحدي ؟ "

" سنعود وقت الغداء . وفي كل حال وعد كارلوس ان يمر الى هنا في الصباح ، ويكون معك "

" ربما ، لكنني اعتقد انه يفضل ان يبقى في المنزل ويعمل هناك "

لم يعد لسارة ما تقوله . خرجت من الغرفة ، فلحقت بها انولا . كولن الجالس تحت الشجرة رفع عينيه ونظر مطولاً الى وجه المرأة القبرصية المتورم من البكاء . كما لاحظ ان سارة بكت ايضًا ، لانه عندما نظر اليها ، احمرت وازاحت وجهها . التحق بهما جيلبير ودعا كولن ان يأتي مع سارة . لكنه قال انه يفضل البقاء هنا في الحديقة حتى وقت الغداء . وبعدها ربما يذهب الى شاطىء البحر ليستحم .

قالت سارة للمرأة :

" هكذا سيكون معك رفيق "

تساءلت سارة في داخل نفسها اذا كان كولن سيكون سعيدًا في البقاء مع امرأة قبرصية خجولة بالكاد تنطق كلمة واحدة . فمساء امس شعر الجميع بارتياح عندما غادرتهم انولا باكرًا لتذهب الى النوم ، بعدما امرها كارلوس بذلك بحجة التعب والغم .

مفاجأة اخرى كانت بانتظار سارة بعد عودتها من النزهة مع جيلبير والتي دامت ساعتين . اذ وجدت كولن وانولا يحتسيان الليموناضة ويثرثران كأنهما يعرفان بعضهما من مدة طويلة . ابتسمت سارة رغم حزنها . تعرف ان كولن قادر على جذب النساء متى

ما اراد ذلك . انه شاب وسيم ، لكنه كان ينظر الى النساء بلا مبالاة . ليس عنده وقت يكرس لهن ولا لحركاتهن المتصنعة .

وجيلبير ايضًا كان مندهشًا اذ قال بعدما جلس قرب سارة :

" الظاهر انكما متفقان . هل تشعرين بتحسن يا انولا ؟ "

اجابت بخجل :

" نعم ، شكرًا ، يا سيد هولغروف "

وللحال عادت لتنطوي على نفسها وفهمت سارة ان انولا تشعر بالحرية مع كولن وحده .

سألها جيلبير :

" هل تعتقدين ان كارلوس سيأتي الى الغداء ؟ انها الساعة الثانية عشرة والنصف وهو يعرف اننا نتناول الغداء في الواحدة ، قلت له ان يأتي اذا ما كان يرغب بذلك "

لكن كارلوس لم يظهر فصرحت انولا لسارة بلهجة حزينة :

" لم يأتي لانني هنا . فهو زعلان مني . آه ! انني متأكدة من ذلك ، خاصة عندما ذكرني عدة مرات بانني انا التي وضعت شرطًا لزواجنا ، وبامكانية فسخ الخطوبة ، اذا صدق ووقع احدنا في الغرام . . . "

توقفت لرؤية التعبير على وجه سارة واضافت بحزن :

" ها انا قد وترت اعصابك "

تنفست سارة الصعداء وقالت :

" هذا لأن الحديث لا يجدي أي فائدة . ستتزوجين من كارلوس وانا بدأت اتقبل الامر . وسأتخلى عنه نهائيًا "

عضت انولا على شفتيها ورمقتها بنظرة عاتبة هامسة :

" افضل . . . افضل لو اكون انسانة ميتة "

ابتعدت سارة في الحال امام هذا الوضع الثقيل ، لكنها اقترحت على انولا بلطف ان تذهب معها الى شاطىء البحر .

" لكننا يجب ان نعود في حدود الرابعة لأن كارلوس سيأتي ليأخذني الى المستشفى "

فضل جيلبير ان يأخذ قيلولة ، لكن كولن قبل دعوة سارة التي اخذتهما بسيارة الكاتب الى شاطىء البحر .

كان الثلاثة في بزة السباحة وبمئزر الحمام . وكان الماء فاترًا . فشعرت سارة بارتياح لأن تسبح وتفرغ رأسها من الافكار العديدة التي طرأت في الايام الاخيرة . لم تعد تفكر بشيء ولا بأحد . كولن وانولا يسبحان معًا . اما سارة فتوجهت نحو مجموعة من الصخور تقع في عرض البحر وخرجت من الماء وجلست على الصخر واغمضت عينيها لتحميهما من انعكاس الشمس على الماء الزرقاء . ومن هناك لمحت شخصا يسبح وحده

بسرعة ومهارة فائقة . وتساءلت كم يكون هذا الشخص شجاعًا ويحب المخاطرة . لا شك انه رجل ، فالمرأة لاتجرؤ على المغامرة بعيدًا .

نظرت في مكان آخر ورفعت يدها باشارة لترد على كولن الذي كان ممدًا على الشاطىء قرب انولا وعلى بعد كبير من مكان سارة . لكنها شعرت فجأة برغبة ان تكون وحيدة ولا يراها احد . فنهضت وراحت تبحث عن مكان تختبىء فيه وراء الصخرة . جلست هناك وعادت تتأمل الرجل الذي يسبح بثقة واتقان . وتهيأ لها انه يتوجه نحو تجويف في الصخر ، لكنه عدل عن ذلك واستدار ليسبح نحو الشاطىء .

وبينما كانت تنظر اليه بقلب نابض ، قال لها حدسها ان هذا الرجل لا بد يكون كارلوس بالذات .

" سارة ! "

خرج من الماء طويلاً ، نحيلاً ، اسمر ، وقال :

" هل انت وحدك ؟ "

هزت رأسها وقالت وهي تشير باتجاه الشاطىء ، وما وراء الصخور :

" كولن وانولا على الشاطىء . لم ار سيارتك ، اين امضيت طيلة فترة بعد الظهر ؟ "

تذكرت في هذا الوقت بالذات انها لم تعير انتباهًا للسيارات الموقوفة خلف الشاطىء .

" جئت الى هنا في الثامنة صباحًا "

" في الثامنة ! "

هل سيواصل كارلوس هذه الحياة المحرومة من العطف والحنان ، ما عدا حب ابنته ، شعرت بألم حاد في حنجرتها وقالت :

" حبيبي ، الم تتناول طعام الغداء ؟ "

جلس قربها فارتجفت وقال :

" لست جائعًا "

نظر باعجاب الى جسم سارة الاسمر ، لكنها ازاحت رأسها خجلاً فسألها :

" يا حبي ، بماذا تفكرين ؟ "

رفعت وجهها نحوه ولاحظ الدموع تلمع في عينيها .

فأخذها بين ذراعيه وبدا عناقهما الصامت كأنه تحد لكل الآلام والعذابات .

" آه ! كارلوس . . . كيف بامكاني ان اعيش من دونك ؟ "

لم تكن تنوي قول هذا الكلام لانها لا تريد ان يتألم . فقد وعدت انولا انها لن تحاول ان تأخذ كارلوس منها .

قال بصوت اجش ومتقطع المًا :

" وانا ، كيف سأعيش من دونك ؟ يا حبيبتي . . . "

عانقها بشغف وحرارة . كيف بامكانها مقاومته ؟

فصرخت :

" كارلوس . . . "

تخبطت كي تدفعه عنها وقالت :

" كارلوس حبيبي ، لا تدعني استسلم لك ، ارجوك "

كان صوتها حزينًا جعله يندم على ما فعله وتركها . ثم وضع يديه على شفتيه وقال :

" يا سارة ، الجميلة ، الناعمة ، سامحيني "

نظر اليها مطولاً في حنان رهيب . فقالت لتغير الجو:

" كارلوس ، اشعر بالجوع ، ما رأيك لو نأخذ شيئا في المقهى القريب من هنا ؟ "

ابتسم ووافق ثم اجاب :

" ليس معي مال . انه في السيارة "

وضحكا لما لاحظا ان لا احد منهما يحمل المال في هذه الظروف . لكنه وعدها انه سيطلب من خادم المقهى الذي يعرفه جيدًا ان يدفع له في وقت آخر .

توجها نحو الشاطىء بخطى بطيئة ، ويدها بيده .

كان كولن وانولا جالسين على الرمل ينظران الى الافق ، كأنهما زوجين يمضيان عطلة على شاطىء البحر . لم ينظرا باتجاه سارة وكارلوس الذين قررا دخول المقهى من دونهما .

ونصحهما الخادم ان يتذوقا السمك الطازج الشهي مع البطاطا المقلية والسلطة مع الجبن . فوافقا . وبعد قليل قالت سارة وهي تراقب كارلوس يأكل بشهية :

" يجب عليك ان تطلب صحنًا آخر "

" صحيح انني لم اكن جائعًا ، لكن عندما التقيت بك تغير الأمر . لماذا ابتعدت عن كولن وانولا وجئت تسبحين قرب الصخور ؟ "

" اردت ان اكون وحيدة "

" وانا ايضًا . لذلك ذهبت اسبح بعيدًا لكن عندما رأيتك كنت تبدين مستوحشة جدًا "

" صحيح . كنت اشعر بالوحدة والضياع "

بعد صمت . قالت بصوت مخنوق :

" انا سعيدة جدًا لأنني كنت هنا عندما خرجت من الماء "

" لم اكن اصدق ما رأته عيناي "

تنهد ثم قال لها انه حان له ان يذهب لانه وعد انولا ان يأخذها الى المستشفى .

" اعرف ذلك . لقد قالت لي انها تريد ان تكون في الفيللا قبل الساعة الرابعة اعتقد انها بدأت تقلق الآن "

قال كارلوس للخادم انه سيذهب الى سيارته ليأتى بالمال كى يدفع له ثمن الغداء . لكن الخادم لم يقبل قائلاً :

" تدفع لي في المرة المقبلة "

ثم خرجا متوجهين نحو كولن وانولا الجالسين بهدوء على شاطىء البحر .

بعد اربعة ايام قال جيلبير لسارة بلهجة غريبة بينما كانا جالسين في مكتب الكاتب :

" هل لاحظت الى أي درجة تغيرت انولا ؟ "

كان الكاتب قد توقف عن الكتابة بعدما نظر الى كولن وانولا الجالسين في الحديقة . نظرت سارة باتجاههما وقالت :

" من الصعب عدم ملاحظة ذلك . واعتقد ان كولن هو المسؤول عن هذا التغيير . انه يشفق عليها . . . اسمع ، اعتقد انها تضحك بفرح . كل هذا لم يكن واردًا في بال احد منذ بضعة ايام "

وكارلوس لاحظ ايضا هذا التغيير عند خطيبته وبدا محتارًا . فقد دعا الجميع الى حفلة عشاء في منزله قال لسارة :

" من اين لانولا هذا الفستان ؟ لا اظن انه لك لانك انحف منها "

" اصطحب كولن انولا الى نيقوسيا في الصباح

فاشترت هذا الفستان وفستانًا آخر ايضًا . . . "

اندهش كارلوس وقال :

" كانت دائما ترتدي الثياب الجدية وما زالت تلبس

ثياب الحداد على المرحوم زوجها "

" لم يكن لديها فعلاً الا ملابس سوداء ، لكن كولن

شجعها على شراء ملابس ملونة ليرفع من معنوياتها "

رفع كارلوس كتفيه وقال :

" اخيرًا بدأت انولا تتفتح "

ظهرت حينئذ ماريا الخادمة واعلنت ان العشاء جاهز

.

كوربي برودهورست كان مدعوًا ايضًا فبدأ يتحدث مع كارلوس وجيلبير ، بينما كانت سارة تتحدث مع زوجة كوربي لكن انتباهها كان محصورًا بكولن وانولا الجالسين قبالتها . كانا يتحدثان بهدوء ومن وقت لآخر . كانت المرأة تحمر وعيناها تتلألأن فرحًا .

وسمعت سارة نفسها تقول : كم انها جميلة حقًا ! لكنها سرعان ما ادركت امرًا خطيرًا . هل باستطاعة كولن ان يخدع هذه المرأة البريئة . . .

سأل كارلوس سارة بلهجة قلقة :

" هل انت على ما يرام ، يا سارة ؟ "

تمكنت من مقاومة ارتجاف صوتها وقالت :

" نعم . انا على ما يرام "

في اليوم التالي ، كان كولن وحيدًا ، فقالت له بلهجة اتهام :

" اعرف انك تتآمر مع انولا ، لكنني لن ادعك تواصل مخططك . هل انت من دون شفقة ولا رحمة ؟ سيتحطم قلبها يوم ستغادرها . كيف يا كولن تمكنت من خداعها ؟ "

تسأل جيلبير ماالذي يجري بينهما ووصل الى الشرفة وراءهما ، لكنها لم تلاحظ وجوده في الحال . فتابعت تقول :

" لا شك انك اقدمت على عمل شنيع ، انا اكيدة من ذلك "

راحت الدموع تتساقط من عينيها وهي تضيف قائلة :

" لم اكن اتصور انك قادر على هذا العمل الكريه ،

لن اعذرك ابدًا "

قال كولن اخيرًا :

" سارة ، هل بامكانك ان تشرحي لي ماذا تعنين بهذا

كله ؟ انا آسف لاني لم افهم شيئًا "

" انت تعرف جيدًا ما اريد قوله ! "

فجأة لاحظت وجودًا وراءها . فالتفتت وقالت :

" جيلبير ! كيف بامكان كولن ان يفعل هذا ؟ جعل

انولا تقع في حبه ، بغية ان تفسخ خطوبتها مع

كارلوس . لاحظت ذلك في عينيها مساء امس ،

خلال حفلة العشاء . انها بريئة جدًا الى درجة تعتقد ان كولن جدي في الامر ، لكنها ستصبح وحدها من جديد ، فكولن سيرحل عنها "

ران صمت متوتر ، قاطعه جيلبير سائلا كولن بصوت قاس ما سمعت سارة مثله من قبل :

" هل صحيح هذا الكلام ، يا كولن ؟ هذا واضح انك اوليتها اهتمامًا كبيرًا منذ وصولها الى هنا ، فلم يسبق ان رأيتك تهتم بامرأة هكذا من قبل "

" هذا صحيح يا عمي . . . ذلك لأنها المرة الأولى التي اكون فيها مع امرأة "

صرخ جيلبير وسارة في آن واحد :

" انت جاد ! لكن لم يمر اسبوع على معرفتك بها "

اجاب كولن بسخرية :

" اعتقد انك لم تأخذ وقتًا طويلاً عندما وقعت بغرام عمتي سارة "

قالت سارة بصوت مرتجف :

" هل . . . هل تنوي الزواج من انولا ؟ انولا امرأة شديدة الحساسية وسريعة العطب "

" اعرف ذلك . لن ادعها تتعذب ابدًا . ولماذا افعل ذلك ؟ "

لم ترد عليه ثم نظرت الى جيلبير وقالت :

" هل طلبت يدها ؟ "

" لم اطلبها بعد . هذا صعب ما دامت مخطوبة لرجل آخر "

" هل فتحت موضوع فسخ الخطوبة ؟ "

" قلت لانولا ان عليها ان تفسخ الخطوبة . وبالفعل اعتقد انها في الوقت الحاضر تهب كارلوس حريته "

" منذ قليل جاء كارلوس واصطحبها الى المستشفى لتزور ابنها الذي سيعود الى البيت خلال يومين "

" ونصحتها ان تكلم كارلوس بالأمر. . . "

قال جيلبير بصوت جاف :

" هل هذا لانك ترغب في الزواج منها ؟ "

اجاب كولن بصدق وثقة :

" طبعًا "

قال جيلبير اخيرًا :

" سيكون هناك عرسان باذن الله ! "

" المشكلة هي اني مضطر للعودة الى انكلترا لمباشرة عملي . لو كنت اعرف مسبقًا اني سأتزوج خلال وجودي في قبرص ، لكنت طلبت الحصول على عطلتي كلها "

وشرح لهما ان انولا ستلتحق به في انكلترا وستعيش عند جديه بانتظار موعد الزواج .

اما سارة فكانت تشعر بحزن وشعور بالذنب ، بدلاً من ان تكون فرحة لكون كارلوس حرًا طليقًا ،

وبامكانه ان يتزوجها . . . لكن هل سيكونان سعيدان حقًا ؟

. . . وبعد وقت قصير تبدل منظر الغسق الليلكي عندما كانت سارة وزوجها يتمشيان متعانقين . النسيم الآتي من البحر ينشر اريجًا غريبًا في الهواء . اصوات الماشية تأتي من بعيد والزيز يغني في اشجار الزيتون .

ومن الشرفة الممتلئة ازهارًا صرخ صوت يقول :

" مساء الخير ، سيد كارلوس . مساء الخير سيدة كارلوس "

اجابا معًا :

" مساء الخير يا ديمتريوس "

سأل كارلوس بصوت ناعم وهو يضغط على اصابع سارة :

" ماذا هناك يا حبي ؟ "

بقيت فترة صامته لا تعرف ماذا تجيب . تزوجا منذ ثلاثة أشهر وبرغم قوة حبهما لم يعرفا السعادة التامة الا في اوقات مميزة . اخيرًا قالت متنهدة :

" لست متأكدة اني ارغب فى رؤية كولن وانولا "

" وانا ايضا ، لكننا اضطررنا لقبول دعوة جيلبير الى العشاء . وكذلك سنضطر ان ندعوهما الى العشاء بدورنا . هل انت على استعداد لمواجهة هذه التجربة ؟ "

" نعم . . . "

توقف ونظر اليها ثم عانقها بحنان :

" حبيبتي ، لا يمكننا ان نغير شيئًا . المهم هو ان نحاول ان نكون سعيدين "

" لكننا سعيدان "

لم يرد ، فتابعت تقول بلهجة آسفة :

" اعرف انني افسد حياتنا التي بامكانها ان تكون رائعة ، اليس كذلك ؟ لكن لا يمكنني ان انسى ما فعله كولن كي نتمكن من الزواج . اخشى الا يكون زواجه ناجحًا ، لانه غير مؤسس على الحب ، لا شك ان انولا تعرف الآن ان كولن لا يحبها "

هز كارلوس رأسه وتابعا سيرهما . . . يحبان ان يمشيا كل مساء لدى عودتهما من منزل جيلبير . النسيم يلوح اوراق شجر الحامض . القمر والنجوم تلقي انوارها الفضية على البحر والجبال . يقومان بهذه النزهة كل مساء ، لان سارة ما زالت تعمل عند جيلبير . ستواصل عملها حتى ينتهي من تحقيق كتابه .

وفي مساء الغد كانت حديقة الفيللا مضاءة وعلى الشرفة ثلاثة اشخاص. شعرت سارة بغصة في قلبها . هل ستقرأ خيبة الأمل على وجه انولا ؟ والندم العميق في وجه كولن ؟

www.riwaya.net مكتبة رواية

فجأة سمعوا قهقهة امرأة تضحك بفرح . ثم انضم اليها الرجلان . كانوا ما زالون يضحكون عندما وصلت سارة وكارلوس .

وقف جيلبير لاستقبالهما وقال :

" اسمعوا هذه القصة . . . "

بعد ثلاث ساعات ، استأذنت سارة وكارلوس للعودة الى منزلهما . فقد دعى كارلوس جيلبير والزوجان الى العشاء في اليوم التالي . وما ان اصبح كارلوس خارج الباب الحديدي حتى نظرت اليه وقالت :

" هل رأيت كم يعشقان بعضهما ؟ "

" كيف لا الاحظ ذلك ، يا حبيبتي ؟ اشعر بارتياح كبير قربهما "

" لم اكن اصدق انه تزوجها عن حب . لم يحاول انكار ذلك عندما اتهمته بخداع انولا . لماذا اذن ؟ "

توقفت سارة محتارة ثم تابعت :

" هل تزوجها حقًا عن حب ؟ ام انه احبها بعد الزواج ؟ "

اجاب كارلوس بعد لحظة تفكير :

" لن نعرف هذا ابدًا . . . لا سبب لأن نقلق عليهما بعد الآن . انهما سعيدان . . . "

توقف عن متابعة الكلام وامسك بذقن زوجته ورفع وجهها نحوه وقال :

" والآن ، لم يعد هناك شيء يمنعنا من ان نكون فعلا سعيدين "

هزت رأسها وشعرت بارتياح وفرح يوم حولت ثروتها التي ورثتها عن والدي كارلوس الى ريان .

همست تقول عندما امسك زوجها يدها وشد عليها بحب وشغف :

" لم يعد هناك أي حاجز امام سعادتنا ، يا حبي "

لتحميل مزيد من الروايات الحصرية و المميزة

زوروا موقع مكتبة رواية

تمت

www.riwaya.net مكتبة رواية